نحن والغرب

كتاب ضم سلسلة محاضرات ألقاها سماحة الشيخ (دام ظله) في عدة مناسبات دينية، وقد انطلق سماحته بهذه الحركة إثر إعلان الغرب بزعامة الولايات المتحدة الحرب على الإسلام بعنوان الحرب على الإرهاب، بعد تفجير برجي التجارة العالمية بنيويورك بطائرتين مختطفتين، ومقر البنتاغون في واشنطن في ١١/أيلول/٢٠٠١ وراح ضحيته أكثر من ثلاثة آلاف أمريكي.

وقد طُبع الكتاب ونشر بشكل واسع وأحدث حركة واعية لدى المجتمع، وجعله سماحته عنواناً لسلسلة من الكتب التي طبعت بدعمه وإشرافه.

ما هو تكليفنا في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب؟[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، وصلّى الله تعالى على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب:

يشترك المجتمع والحوزة في التقصير تجاه الآية الشريفة: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة:١٢٢)، والفرق أنّ المجتمع مقصر في تطبيق الشق الأول منها وهو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ...﴾ والحوزة مقصرة في أداء التكليف الثاني: ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾، إذ تتضمن الآية واجبين اجتماعيين[2].

---

(١) محاضرة ألقيت على حشد كبير من أساتذة وطلبة الحوزة العلمية في نهاية العام الدراسي بمناسبة حلول شهر محرم الحرام وتوجّه الخطباء للتبليغ، وكانت بتأريخ ٢٧/ذي الحجة/١٤٢٢ هـ الموافق ١٢/٣/٢٠٠٢.

وهي أول محاضرة عامة من سلسلة محاضرات بعنوان (نحن والغرب) رد بها سماحة الشيخ اليعقوبي على ما أعلنه الغرب وزعيمته الولايات المتحدة من حرب على الإسلام بعنوان الحرب على الإرهاب بعد حادث تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك بطائرتين ومهاجمة مقر البنتاغون بطائرة ثالثة يوم ١١/أيلول/٢٠٠١ وراح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف أمريكي.

(٢) بحسب المصطلح الذي بيناه في مناسبة سابقة بعنوان (الفقه الاجتماعي ضرورة حضارية).

الأول: وجوب النفر[١] على طائفة وأقلها ثلاثة من كلّ فرقة، والفرقة لها مصاديق عديدة كالمدينة والحي والقرية والعشيرة وبعضها كالمدن الكبيرة تمثل عدداً من الفرق.

فهل يا ترى نفر من كلّ عشيرة أو مدينة طائفة؟ وأنت ترى إنّ مدناً كثيرة وعشائر واسعة لم ترسل ولا واحداً من أبنائها إلى الحوزة الشريفة ليتفقهوا في الدين، لذلك وقعوا في التيه والضلال كما وقع فيه بنو إسرائيل من قبل حذو النعل بالنعل كما في الحديث الشريف.

الثاني: وجوب التبليغ والإنذار والتوجيه على الذين نفروا إلى معاهد العلم ونهلوا العلوم الشريفة[٢]، أمّا أن يتلقى الحوزوي أنواع العلوم من دون عطاء وإيصال إلى المجتمع فهذا خلل في تطبيق الآية الشريفة.

---

(١) جاء في الكافي في باب فرض العلم و وجوب طلبه و الحث عليه:

عن أبي عَبْد اللَّه (عليه السلام) يَقُولُ: (تَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وجاء في البحار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً فإن من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً). تحف العقول.

(٢) عن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أَنَّهُ قَالَ فِي كَلامٍ لَهُ: (الْعُلَمَاءُ رَجُلانِ رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِه فَهَذَا نَاجٍ وَ عَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِه فَهَذَا هَالِكٌ وَ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِه وَ إِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَ حَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْداً إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَ قَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَ أَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ

ونتيجة لهذا التقصير المشترك بين الحوزة والمجتمع انفصمت العروة الوثقى بين الحوزة التي هي بمثابة الرأس والمجتمع الذي هو بمثابة الجسد، وراح الناس يتخبطون بالفتن والضلالات، وتلقفتهم الفئات الضالة والمنحرفة والمعادية للإسلام بعد أن تخلت الحوزة عن احتضانهم ولم تكن بمستوى طموحاتهم وآمالهم، ونحن نعلم أنّ أغلب الناس ينعقون مع كلّ ناعق ويميلون مع الريح، فلماذا لا تكون ريح الحوزة قوية وفاعلة ومؤثرة حتى تكون هي الريح التي يميلون معها؟ ولماذا ريح الحوزة ضعيفة وربما معدومة؟

الحوزة وأصناف طلابها:

وأُقدم لك مثالاً لشكلين من الحوزة: أحدهما يؤلف الرسالة العملية ويقعد في بيته وينتظر من يطرق بابه ويسأله، والآخر يتوسل بمختلف الأساليب لإيصال الوعي الديني إلى المجتمع، فإذا فشلت وسيلة جرّب غيرها، فمثالهما كأمّين، إحداهما تطبخ الطعام وتتركه إلى جانب ولدها المريض الضعيف المحتاج إلى الطعام، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وهو لا يعرف ما يصلح حاله، فينتهي أمره إلى الهلاك، وأخرى لا تكتفي بتهيئة الطعام، بل تتفنن في إقناع

==علْمَهُ وَاتِّبَاعِه الْهَوَى وَ طُولِ الامَلِ أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ طُولُ الأمل يُنْسِي الآخرة) الكافي.

وعَنْ أبي عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) عَنْ آبَائِه (عليهم السلام) قَالَ (جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللَّه (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا الْعِلْمُ قَالَ: الإنصات، قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: الاسْتِمَاعُ قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ الْحِفْظُ قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ الْعَمَلُ بِه قَالَ ثُمَّ مَهْ؟ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ نَشْرُه). الكافي

عَنِ الرِّضَا (عليه السلام) قَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا قُلْتُ كَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ قَالَ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ فَإِن النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلامِنَا لاتَّبَعُونَا).

الطفل بالأكل، وكلما فشلت وسيلة أو لم يرغب بالطعام أعدت غيره وبوسيلة أخرى حتى يأكل ويسترد عافيته.

إن المجتمع كالطفل المريض؛ أما أنه كالطفل فلأنه قاصر ويحتاج إلى من يرعاه ويربيه ويحتضنه، ومريض لأنه مليء بالأمراض الاجتماعية ويعمّه الفساد والانحراف وهو لا يعرف من أين وكيف يأخذ طعام المعرفة والإيمان ليعالج أمراضه، والحوزة هي الأم الحنونة الرحيمة الرؤوفة الشفيقة الحريصة، فأي الأُمّين في المثالين أجمع لهذه الصفات الكريمة التي هي مشتقة من الأسماء الحسنى، وقد أمرنا بالتحلي بها كما في الحديث الشريف: (تخلقوا بأخلاق الله تبارك وتعالى) فأي الأُمّين حنونة رحيمة رؤوفة شفيقة حريصة؟ الثانية طبعاً.

وأمامي صنفان من طلاب الحوزة الشريفة:

١- صنف جاء إلى النجف الأشرف لطلب العلم واستقر فيها ونسي عشيرته وأهله الذين ينتظرونه ليفيض عليهم مما رزقه الله تعالى، فصار يطلب العلم للعلم لا للعمل.

٢- صنف بقي شعوره بالمسؤولية بين جوانحه، وبقي الحس الاجتماعي في أعماقه، كلما وجد فسحة في الدرس أو عطلة عن التحصيل عاد إلى أهله ووطنه يرشدهم ويدعوهم إلى الله تبارك وتعالى.

لاشك أن الثاني هو مصداق الآية الشريفة، فإنّه قد جسد العلم بالعمل، فيكون محلاً لإفاضات جديدة لأن (العلم يزكو بالإنفاق)[١]، و(بذله لمن لا يعلمه صدقة)[٢]، والصدقة بسبعمائة ضعف وأزيد، بل لا قيمة للعلم بلا عمل سواء على صعيد النفس أو المجتمع، وفي الحديث: (العلم مقرون بالعمل، والعلم

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥ / ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ١ / ١٦٦.

يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل)[1]، ولنتأمل في المثال القرآني: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾(الجمعة:٥) أعيذكم بالله تعالى أن تكونوا ممن عنتهم الآية.

وبصراحة أقول لكم: (إنّ طالب العلم الذي أجده ماكثاً في النجف في مواسم التبليغ والإرشاد ولا ينتشر في الأرض ليؤدي رسالته ينقص في عيني إلاّ أن يكون ممن يمارس ذلك في النجف نفسها، ولا أجد أي مرجح على ذلك كالتأليف ومراجعة الدروس ونحوها، فإنها مما يمكن إتيانها في غير هذه المواسم)[2]، وإذا كان هذا مما يزعجكم فاعلموا إنّ هذا مما ينقصكم في عين الله ورسوله وأمير المؤمنين والإمام الحجة أرواحنا له الفداء.

لماذا تضاعفت مسؤولياتنا في الوقت الحاضر:

وقد تضاعفت هذه المسؤولية في الزمان الحاضر لابتلائنا بقضيتين مرتبطتين ببعضهما هما:

١- الهجمة الشرسة التي يتعرض لها المسلمون في العالم تحت عناوين مظللة وموهة يستطيعون بها تمرير خططهم و تحشيد أكبر عدد من المؤيدين، واختاروا لذلك عنوان الإرهاب، ولم يضعوا تعريفاً واضحاً محدداً له ليمكن تمييز الأفراد الداخلة عن غيرها، فبقي مبهماً ومفتوحاً لشمول كلّ من يقف في طريقهم ولا يخضع لهم، وبهذا العنوان المبهم المثير للاشمئزاز جندوا الكثير في حربهم القذرة رغباً ورهباً.

وهذا الأسلوب من الخداع والتضليل ليس جديداً، فهم أبناء

---

(١) نهج البلاغة: ٤ / ٨٥.

(٢) كانت هذه الكلمة مؤثرة على طلبة العلوم الدينية حيث انطلقوا بهمّة وحماس إلى التبليغ والوعظ والإرشاد ولم يبقَ في النجف الأشرف خلال التعطيل إلا القلة من كبار العلماء والمستوطنين فيها.

أولئك الذين جندوا جيوشهم لحرب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ووضعوا عناوين مظللة له بأنه ساحر كذاب، سفه آلهتنا، وكذلك لحرب أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنّه قتل عثمان، ولحرب الحسين (عليه السلام) لأنّه خارجي خرج على إمام زمانه، وللحرب الصليبية لنصرة الصليب المقدس، والحقيقة غير هذا كله، فلا شيء وراء كلّ هذه الحروب إلاّ المحافظة على المصالح والامتيازات وجلب المزيد منها.

والذي يتابع تصريحات الساسة الغربيين يكتشف هذه الحقيقة كما جرت على لسان الرئيس الأمريكي ورئيس وزراء إيطاليا ورئيسة وزراء بريطانيا السابقة، لأنّهم يشعرون بعد انهيار الاتحاد السوفيتي كقطب عالمي مقابل لهم، أن العدو المقبل والوحيد هو الإسلام، فقد أكّد صموئيل هانتنج تون[1] صاحب نظرية صدام الحضارات التي نشرها أول مرة في مجلة شؤون خارجية في عددها سنة ١٩٩٣ يقول: (إن الصراع القادم سوف لن يكون آيديولوجياً مثلما كان إبان الحرب الباردة بقدر ما سيكون صراعاً بين الحضارات، لا سيّما الحضارة الإسلامية والغربية) وقال ما نصه: (أن التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قروناً بين الغرب والإسلام

---

(١) صموئيل هانتنج تون: بروفيسور أمريكي من أصل يهودي متخصص في الإدارة العامة ومدير لمعهد جون أولين للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد وقد كرس حياته المهنية لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثاً وتدريساً واهتم بصورة مباشرة بالدراسة المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث وقد أسندت إليه ما بين عامي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ مسؤولية قسم التحليل والاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي) عن كتاب قضايا في الفكر المعاصر / محمد عابد الجابري. صفحة ٩٣.

ليس من المرجح أن ينحسر بل قد يصبح أكثر خطراً)[١]، وقد جاءت هذه النظرية بشكل مستعجل ومضطرب وفاقدة للأدلة والشواهد العلمية الدقيقة ـ كما هو شأن الحقائق العلمية – مباشرة بعد أطروحة (نهاية التأريخ) لفرانسيس فوكا ياما الأمريكي من أصل ياباني، فلماذا حصل هذا رغم أنهما يشتركان في أصل الفكرة، وهو (إن النموذج الغربي هو الأمثل، ولابد أن يخضع له العالم أجمع، ففوكا ياما أكد في نظريته أنّ الديمقراطية الليبرالية هي نهاية التأريخ في ضوء انتصارها على الشيوعية، بل أنّه لم يتوانَ عن دعوته إلى فرض النموذج الغربي على كلّ دولة في العالم، بحجة أنه[٢] من أجل رقي مجتمع ما يجب على الدولة أن تكون ديمقراطية وأن تكون على اتصال بنظام السوق العولمي)[٣].

وما دامت النظريتان تشتركان في أصل الفكرة، فلماذا تنال نظرية صدام الحضارات ترويجاً، وتُهمل نظرية نهاية التأريخ؟!!

والسر في ذلك يرجع إلى الوظيفة التي تؤديها الفكرة، إنّ فكرة (نهاية التأريخ) تتحدث عن الماضي، وبالتالي تبعث على الاطمئنان على مستقبل أمريكا وتؤكد على الانتصار النهائي لليبرالية، الشيء الذي يجعل مثلاً التساؤل عن جدوى تخصيص مبالغ هائلة للدفاع في ميزانية الولايات

---

(١) الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة/سناء كاظم كاطع عن صِدام الحضارات: صموئيل هانتنج تون وآخرون من مركز الدراسات والبحوث والتوثيق، بيروت ١٩٩٥ صفحة ٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص٢٥.

(٣) المصدر السابق: ص٢.

المتحدة تساؤلاً مشروعاً[١]، أما نظرية صدام الحضارات فتتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة والحرب، وتدعو إلى الاستعداد للدفاع عن النموذج الأمريكي وعن المصالح التي يقوم عليها، وبالتالي تخصيص أموال لذلك[٢].

قد سمعنا[٣] أن ميزانية هذا العام (٢٠٠٢م) تضمنت زيادة ٤٨ مليار دولار على الشؤون العسكرية، وما كانوا يستطيعون إقناع شعبهم بهذه الزيادة إلاّ من خلال هذه الحرب الحضارية، وتقول تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا عام ١٩٩١م: لقد قضينا على الشيوعية وبقي علينا أن نقضي على الإسلام[٤].

وحربهم هذه على الإسلام ليست جديدة وإن تركزت اليوم وتوسعت، فمن قبل قال رئيس الوزراء البريطاني تشرشل بعدما رفع المصحف لجنوده: (انزعوا هذا الكتاب من حياة المسلمين أضمن لكم السيطرة عليهم)، وقال لويس التاسع ملك فرنسا عند هزيمته في الحملة الصليبية وإطلاق سراحه عام ١٢٥٠ مخاطبا جنده: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم) وقال المبشر

---

(١) إذا انتهى التأريخ وانتصرت أمريكا وسيطرت الحضارة الغربية، فلماذا هذه المليارات للتسلح والاحتياطات الأمنية وحرب النجوم وغيرها من المشاريع لوزارة الدفاع؟!!.

(٢) قضايا في الفكر المعاصر: ص٨٤.

(٣) كان سماحة الشيخ يتابع نشرات الأخبار ويدوّن في سجلّ أهم الأحداث، ومنه ينقل بعض الشواهد التي يحتاجها في حديثه، وقد تضمنت محاضراته وبياناته الإشارة إلى جملة منها.

(٤) الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة: ص١٦٩.

وليم جيفورد: (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه)[١]، فهدفهم إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم وتفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيقها[٢].

وماذا يريدون من حربهم الحالية ضد الإسلام والمسلمين؟ يقول البروفسور ريتشارد كروسمان المسؤول السابق لقسم الحرب النفسية في بريطانيا: (هدف هذه الحرب تحطيم أخلاق العدو وإرباك نظرته السياسية، ودفن جميع معتقداته ومثله التي يؤمن بها، والبدء بإعطائه الدروس الجديدة التي نود إعطاءَها له ليصار بالتالي إلى أن يعتقد بما نعتقد به نحن)، فانظر إلى الكلمات المرعبة التي اختارها: (حرب – تحطيم – عدو – إرباك – دفن) فهل نحن في مرحلة الحرب أم الإرباك أم الدفن والعياذ بالله؟.

٢- إن اليوم الموعود للظهور المبارك قد قرب بشكل ملحوظ وقد يقال بتحقق جملة من علاماته، والأهم من ذلك توفر شروطه[٣]، فإن العلامات قد يحصل فيها البداء كما إنها واردة بألفاظ مجملة ورمزية وقابلة للانطباق على كثيرين، فالمهم مراعاة الشروط، لأن الشرط جزء من أجزاء العلة التامة، فلا بدَّ من اكتمالها، ولا أريد الدخول في بيان التفاصيل فإنها موكولة إلى كتاب شكوى الإمام (عليه السلام):

---

(١) فركز على القرآن لأنه رمز قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وعلى مكة لأنها رمز وحدتهم ولم صفوفهم.

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة: ص١٦١.

(٣) ستأتي المحاضرة التي خصصت لهذا العنوان.

ظروف ظهور الإمام (عليه السلام) بنحو الإجمال.

أذكر باختصار بعض ما يتعلق بالمقام فإننا نجد اليوم ظروفاً ممهدة لقيام الإمام الحجة (عليه السلام) بالأمر، منها:

١- امتلاء الأرض بالظلم والجور والتعسف والعدوان، وهو ما بدا واضحاً بعد انفراد الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم، وازداد وضوحا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام (٢٠٠١م) حيث أظهرت أمريكا ومن ورائها الصهيونية من الظلم ما لم يسبق له مثيل، ولم يسلم من قنابلهم لا المسجد[1] ولا المستشفى ولا سيارات الإسعاف ولا السجون ولا النساء ولا الشيوخ، وقتل الأطفال وهم في أحضان آبائهم، ودمرت البيوت واقتلعت الأشجار وحوصر الأبرياء، ونشروا المواد التي تسبب الأمراض الخبيثة، وأعتقد أنّ الشواهد الكثيرة على كلّ ذلك حاضرة في أذهانكم، ولازالوا مكشرين عن أنيابهم لافتراس كلّ من ليس معهم ولا يخضع لإرادتهم ولا يركع لهم.

٢- وصول الإسلام والمذهب الحق إلى كلّ بقعة من بقاع الأرض، وآخر معقل اقتحمه الإسلام هو الولايات المتحدة نفسها، فقد أجري فيها استطلاع للرأي العام قبل مدة للإجابة عن سؤال: ماذا تعرف عن الإسلام؟ فأجابت الأغلبية: لا نعرف شيئاً.

أما الآن فقد حصل إقبال على الإسلام بشكل لا نظير له، ونفدت الكتب التي تتحدث عن الإسلام بالإيجاب أو السلب - أي كتاب فيه بحث عن الإسلام اقتناه الأمريكيون - وازداد عدد المسلمين في أمريكا بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م إلى أربعة أضعاف وفق ما أعلنته إحدى المؤسسات المتخصصة في الموضوع، واضطر الرئيس الأمريكي نفسه أن يبين محاسن

---

(١) إشارة إلى جملة من جرائم الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني خلال تلك الأيام.

الإسلام وفضائله وارتباطه بالله، بعد أن كانوا يشوهون صورته ويظهرونه وكأنه دين بداوة وتخلف.

وكل هذا الانتشار للإسلام ليس بفضل جهود المسلمين مع الأسف، وإنّما لعظمة مبادئ الإسلام وأحكامه، فهو بنفسه ينتشر، فبالرغم من حاجته لأبنائه إلاّ أنهّ إذا قصر المسلمون فإنهّ يمشي بنفسه، أما المسلمون فهم ثمانية ملايين في أمريكا لم يحملوا همّ الإسلام مع الأسف، وعاشوا أنانيتهم ولم يعملوا لإيصال صوته إلاّ بمقدار بعض المظاهر الدينية البسيطة، يصلون ويصومون وغير ذلك، أما اليهود فهم ستة ملايين، وهم أقل عدداً من المسلمين، ولكنهم مسيطرون على السياسة والاقتصاد والإعلام وكل شيء في حياة الأمريكيين.

٣- وصول عدد معتد به من المسلمين إلى درجة التضحية الكاملة في سبيل الإسلام، وهو ما لم يكن معهوداً من قبل، وأوضح دليل على ذلك الاستشهاديون اللبنانيون والفلسطينيون الذين أذاقوا الصهاينة الرعب، وهم بذلك يعيدون ذكرى أعظم استشهاديين في التأريخ، وهم أصحاب الحسين (عليه السلام)، حيث كان الواحد منهم يقذف نفسه وسط سبعين ألفاً ويريهم العجائب من الشجاعة حتى يقضي شهيداً، وهذا المستوى من التضحية والإقدام على الموت بشكل اختياري وبكل سرور ينتظره الإمام من أنصاره ليستطيع بهم فتح العالم.

٤- انتشار الوعي الديني في المجتمع وعودة الناس إلى ربهم ودينهم، والتفاتهم إلى تطبيق الحكم الشرعي في كل تفاصيل الحياة، وما كان مثل هذا من قبل، بل كان المتدينون قلة قليلة ويتحاشون إظهار ذلك، لأن المتدين يوصف بالرجعية والتخلف.

٥- مرور المجتمع بألوان من الابتلاءات التي يعجز عن تحملها الكثير وخصوصا المجتمع العراقي بعد الحصار الجائر والعدوان الغربي المستمر،

وخروجه من جميع هذه الامتحانات ناجحاً من خلال التمسك بدينه والولاء لأئمته (عليهم السلام)، ولعمري إنّ العراق يثبت جدارته لاحتضان الإمام الموعود (عليه السلام) واستعداده الكامل لتحمل كلّ أنواع الصعوبات معه، وهذا سر المعاناة التي يمر بها مجتمعنا؛ لأنّه المجتمع الذي يحتضن الإمام، لا ما يشاع من أنّ العراقي مستحق للعذاب لخبث أفعاله وسوء معدنه، فهذه فكرة أنشأها فينا أعداؤنا ليفقدونا الثقة بأنفسنا، وإلاّ فقد جرب الذين اختلطوا بمختلف الشعوب أنّ العراقيين هم أطيب قلباً وأكرم أخلاقاً وأكثر استجابة لداعي الدين والتمسك به.

فهذه الظروف الخمسة التي اختصرناها لكم، والباقي في كتاب (شكوى الإمام (عليه السلام).

المحاور التي يجب أن نكرس لها جهدنا:

بعد الالتفات إلى هذه المسؤوليات الملقاة على عاتقنا كمسلمين، علينا - خصوصا كحوزة في هذا البلد المستهدف الأول اليوم وغداً - مسؤوليات، فماذا أعددنا لهذا الصراع الحضاري الذي أعلنوه علينا؟ أنواجهه بالإهمال والتسكع؟ أم بالتمزق أم بتضييع الوقت بأمور تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع؟ أم بالخلاعة والمجون ونشر الفساد والانحلال الخلقي[1]؟ فنعينهم على أنفسنا ونحقق لهم مرادهم مجاناً وبلا ثمن؟ فما أخسرها من صفقة!

فلنتعاون معا لاستخلاص المحاور التي يجب أن نكرس لها جهدنا وعملنا في مثل هذه المواسم، وهذه المحاور هي:

١- بيان العقائد الحقة وترسيخها بالأدلة المبسطة، خصوصاً الوجدانية منها تأسياً بالقرآن الكريم من دون إشغال الفكر بالبراهين العقلية الدقيقة، فأنها

---

(١) بمثل هذه الإشارات كان سماحته يعرّض بأفعال السلطة ويندّد بها.

خاصة بأهلها، ومن مصادر ذلك كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للشيخ كاشف الغطاء بالمقدمة التي كتبتها فإن فيها فائدة.

٢- نشر الأخلاق الفاضلة والتذكير بسيرة من جسّدوا تلك الأخلاق في حياتهم العملية، وهم الأسوة الحسنة محمد وآله، وتوجد عدة كتب نافعة في هذا المجال[١].

٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنبيه إلى الظواهر الاجتماعية المنحرفة، وقد صدرت كتب عديدة في هذا المجال، وخصوصاً محاضرتي التي صدرت في ذكرى مولد الإمام الحسين (عليه السلام).

٤- الاهتمام بالقرآن الكريم وتفعيل دوره في المجتمع من خلال عدة جهات، خصوصاً الاستفادة من طريقته في إصلاح النفس والمجتمع وقد شرحت ذلك في كتاب (شكوى القرآن).

٥- الارتباط بالحوزة الشريفة و أطاعتها ومراجعتها في كل شؤون الحياة التزاماً بقول الإمام (عليه السلام): (فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله والراد عليهم كالراد علينا).

٦-بث الموعظة وإحياء القلوب بها وتهذيب النفوس، وهي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (أَيْ بُنيَّ... أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ)، وجاء في الحديث: (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الموت وتلاوة القران)، وتوجد كتب عديدة في هذا المجال منها: نهج البلاغة، إرشاد القلوب، مجموعة ورام.

٧-شرح الأحكام الفقهية، خصوصاً الابتلائية منها، لتصحيح أفعال الناس وفق الشريعة المقدسة.

---

(١) تأتي محاضرات في هذا المجال ونُشر عدد منها في كتابي (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) و (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

٨-الاستفادة من التأريخ لتلمس المواقف الصحيحة من الحوادث، وإن أمة تمتلك مثل تأريخنا الزاهر يفترض أنهّا لا تتيه ولا تضلّ، لأنّ فيه حلولاً لكلّ المشاكل.

٩- شرح محاسن الإسلام وتكامل تشريعاته وشموليتها لكلّ نواحي الحياة، وقدرته على تلبية حياة البشرية على مدى العصور، وتكفله بتوفير السعادة لها، وعرض نظرياته ونظمه على أنه النظام الوحيد الصالح لقيادة البشرية.

١٠-فضح النموذج الغربي على مستوى النظرية والتطبيق، أي بمناقشة أصل مرتكزات حضارته[١]، أما على مستوى التطبيق ففضحه بتوعية المجتمع وإلفات نظره إلى جرائم المثل الغربي الأعلى (أمريكا)، ولا يحتاج ذلك إلى مؤونة كبيرة بعد أن ارتكبوا ما لا يصدق من الأفعال المنكرة وعلى رؤوس الأشهاد، حتى أنيّ سمعت من كاتب في رأس السنة الميلادية الحالية - وهم بصدد تقييم أحداث العام الماضي - فقال: أثبتت الأحداث أنا لسنا بحاجة إلى التقدم التكنولوجي، وإنمّا بحاجة إلى أخلاق وقيم روحية لتوفير السعادة والاطمئنان، فهم إذن بدأوا يناقشون حضارتهم، فعليكم أن تعمقوا هذا الإحساس الموجود وتظهروه.

١١-الاعتزاز بالشخصية الإسلامية وبيان مقوماتها وتجسيدها في سلوكنا وأفكارنا، ونفي التبعية للغرب في كل شيء، سواء في الملابس أو قصّات الشعر أو الأفكار والمعتقدات أو الأعراف والتقاليد، فإن هذه التبعية تؤدي إلى ذوبان القيم والأخلاق والعقائد[٢]، فنحن اليوم نقلدهم بقصّات

---

(١) مثلا هم يقولون نحن نعرف المصالح !!! ونحن نقول: (كيف ذلك؟ فيوجد مُثُل وأخلاق ومبادئ، فالمصالح ليست مقياساً بشرياً) فهذا على مستوى النظرية أي كشف المرتكزات وبيان الخلل فيها.

(٢) صدرت استفتاءات وبيانات عديدة لسماحة الشيخ لبيان هذا التكليف، تجد بعضها في القسم الثاني من هذا الكتاب.

الشعر، وبعده بالأتكيت والعرف، وبعده نقلدهم بالأفكار، وبعده نقلدهم بالمعتقدات، فنضيع في جاهليتهم الحمقاء.

وهم من هذه الناحية لا أقول أذكياء، بل خبثاء ماكرون، فقد صدّروا لنا حضارتهم من خلال نماذج حسية كالرياضيين أو الممثلين، فنعجب بالرياضي أو الممثل فنقلد حركاته وقصة شعره ونتطبع بشخصيته، فتضيع شخصية المسلم، لعلمهم باستئناس البشر بالحسيات، فتغير شبابنا وراء هذه النماذج وأضاعوا قدراتهم الكامنة التي يزخر بها تأريخهم وحاضرهم، فالمسؤولية عليكم مضاعفة أن تعوضوا المجتمع بقدوات حسنة ونماذج كاملة[1].

١٢- الحث على الحضور في المساجد وتأدية الشعائر الدينية فيها كصلاة الجماعة أو المجالس الحسينية أو قراءة الأدعية بشكل جماعي، كدعاء كميل ليلة الجمعة، ودعاء الندبة ضحى الجمعة.

١٣- المحافظة على وحدة الحوزة والمجتمع وعدم التركيز على نقاط الخلاف، فإنها مهما تكن لا تصل إلى أهمية القواسم المشتركة الكثيرة التي تجمعنا، فهل من المعقول أن نفترق بسبب نقطة واحدة وبيننا (٩٩) نقطة مشتركة، وهم يجتمعون على نقطة واحدة وبينهم (٩٩) نقطة اختلاف، فبأي مقياس نقبل هذا، إنهّا معادلة مؤلمة ومقرحة للقلوب.

١٤- إثارة قضية الإمام المهدي (عليه السلام) والدفاع عنها وتثبيتها، وبيان تكليف المجتمع تجاهها ونشر ذكره والتوسل به واستدرار ألطافه.

---

(١) تجعلون المجتمع مقتنعاً بكم، بدل أن يقتنع بالرياضي الفلاني والفنان الفلاني اجعلوه يقتدي بكم ويقتنع بكم.

الإسلام محتاج إلى جميع أبنائه:

ولا أخص بكلامي الرجال فقط، بل النساء أيضا، بل النساء مسؤوليتهن أعظم بهذا الاتجاه، لان الخلل في شريحتهن أكثر والغفلة عنهن أكثر وقلة المهيئات منهن للقيام بالمسؤولية.

في يوم كنت أكتب استفتاءً، فضمن الجواب كتبت كلمة (إنّ الإسلام محتاجٌ إلى جميع أبنائه)، كلمة واضحة، ولكني شعرت في حينها أنها من ألطاف الإمام (عليه السلام) ومن إيحاءاته، وخرجت منها بدروس كثيرة، ومن هذه الدروس أن الذين يعادونني ويحاولون تسقيطي وتشويه صورتي[1] لا أرد عليهم بالمثل، وأبقى محتضناً لهم، لأنهم – مهما يكن – أبناء الإسلام، والإسلام محتاج إلى كل أبنائه، فمهما أساؤوا لي فصدري واسع لهم، ومهما حاولوا من تشويه صورتي والنيل مني فإني أبقى محتضناً لهم وأحبهم.

ما هي الفائدة من القيام بهذه المحاور؟

وليعلم إخواننا المؤمنون أن القيام بهذه المسؤوليات يتضمن فائدة مزدوجة:

١- مواجهة التحديات الغربية وإفشال مؤامراتهم التي تستهدف فصلنا عن ديننا وسلخنا عن مبادئنا، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾(النساء:٨٩)، وقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾(البقرة:١٢٠)، فكلما حافظنا على إسلامنا كنّا أكثر نجاحاً في مواجهتهم، وكلّما تخلينا عن إسلامنا كنّا أقرب إلى تحقيق ما يريدون، فهذه المرأة السافرة وهذا الشاب الفارغ والتارك للصلاة والعاكف على شرب الخمر والمهمل لتعاليم القران، والذي يثير الفتن والضلالة في

---

(١) بعضهم كان حاضراً.

المجتمع، كلّ هؤلاء يساهمون من حيث يعلمون أو لا يعلمون في إنجاح خطط الأعداء ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾(المزمل:١٩).

٢- التعجيل بظهور صاحب الزمان (عليه السلام) من خلال توفير شروط الظهور[١]، ففي الحديث: (ما من قوم إلاّ ويلون أمر الناس قبل ظهور القائم؛ لئلا يقول أحدهم: إننا لو ولينا لصرنا مثل هذا الرجل)[٢]، ولعل آخر نموذج تجرّبه البشرية -من غير المسلمين- قبل اليوم الموعود هو النموذج المادي الغربي بحسب الظاهر، فكلما عجلنا بفضحه وتنفير البشرية منه فإننا نعجّل بظهور الإمام (عليه السلام)، فلا تبقى قناعة إلاّ بالإسلام وحده، ويبقى معه بخط موازٍ (خط فضح النموذج الغربي).

أدوات رسالة التبليغ والإصلاح:

قلنا: إنّ فضح النموذج الغربي يمشي بخط موازٍ لخط عرض الإسلام الأصيل الناصع السليم على مستوى النظرية وعلى مستوى التطبيق[٣]، بمعنى تجسيدها عملياً في حياتنا، ومن هنا نعلم إنّ ممارسة الشعائر الدينية بشكل واسع له تأثير رئيسي لمواجهة العدوان الأمريكي على بلدنا.

ولأداء هذه الرسالة (رسالة التوجيه والإصلاح) أدوات كثيرة كالندوات والمسابقات والحوارات والإصدارات المختلفة، إلاّ إنّ الوسيلة الأهم هي الخطابة بكل أشكالها، خصوصاً خطابة المنبر الحسيني الذي يمزج العاطفة

---

(١) كلما تعجلت بطرح النموذج الإسلامي النقي أمام العالم وبنفس الوقت كلما تعجلت ببيان الخلل في النموذج الغربي، فإنك تعجل بظهور الإمام (عليه السلام).

(٢) كتاب الغيبة: محمد بن ابراهيم النعماني، ص٢٧٤.

(٣) نعم الفقه الفردي (الرسالة العملية) هو المتبع إلا أنّه يحتاج إلى صياغة جديدة لمواجهة هؤلاء، فيحتاج إلى طرح على مستوى النظرية والتطبيق.

بالوعي، فإذا انضم إليها الولاء والإخلاص والإيمان فقد تكاملت لديه أسباب النجاح، وقد قلت في بعض الكلمات: إنّ من النقص في الحوزوي أن لا يكون خطيباً، ومن النقص في الخطيب أن لا يكون حوزوياً؛ فإن الحوزة لا تستطيع أن تؤدي واجبها كاملاً إلاّ من خلال الخطابة، والخطيب لا يكون ناجحاً ومفيداً إلاّ إذا تربى في الحوزة الشريفة، وهو ما نستفيده من الآيات الكريمة التي أناطت هذه المسؤولية بثلة خاصة أُعدّوا إعداداً كافياً: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ..﴾ طائفة تتميز وتعد إعداداً كاملاً وأخرى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾(آل عمران:١٠٤) إشارة إلى القلة التي تتوفر فيها هذه الصفات.

أهمية العاطفة في المجالس الحسينية:

ومن الإساءة لهذا الموقع الشريف أن يتصدى له إنسان فارغ لا يجيد إلاّ التغني بالمراثي، وما عدا ذلك فانه لا يملك إلاّ أساطير وخرافات ودعاوى مكذوبة، فيوقع المجتمع في ضلالات وشبهات، فيورط نفسه في نار جهنم.

وأنا لا أريد أن أحرم الناس من جانب الإثارة والعاطفة، فأنا شخصياً حريص عليها، وكان المعصومون (عليهم السلام) يتحرونها، فعندما ينشد دعبل الخزاعي قصيدته التائية:

مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ

يقول له الإمام الرضا (عليه السلام): (يا دعبل عرّج بنا على كربلاء)، فيقول:

أفاطمُ، لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشطّ فراتِ

فالعاطفة أمر ضروري وتعطي دفعة كبيرة نحو التكامل، ولكن لا نقتصر عليها.

الدروس المستفادة من الإمام الحسين (عليه السلام):

ونتعلم من الحسين (عليه السلام) دروساً، منها:

١- غيرته على الدين، فعندما رأى معالمه تنطمس في أيدي الأمويين، هب لنصرته وقدم الغالي والنفيس.

٢- الإباء والشمم والعزة، فقد حاولوا إذلاله وإخضاعه لإرادتهم، وقد كانوا يستطيعون قتله من أول الأمر، فلماذا لم يقتلوه؟[١] فأبى إلاّ أن يموت عزيزاً كريماً ولو كلفه ذلك الكثير، فهو يقول: (ألا إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة و الذلة - أي سلّ السيف أو البيعة - وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت ونفوس طهرت وأنوف حمية)[٢]، ويقول أثناء القتال في رجزه:

الموت أولى من ركوب العارِ والعارُ أولى من دخول النارِ

٣-الإخلاص لله سبحانه والتمحض له، فلا يبقى شيء يبخل به على الله لا نفسه ولا أمواله ولا أصحابه ولا موقعه الاجتماعي، وحتى نساؤه وهن بنات الوحي تسبى من بلد إلى بلد، كل هذا وهو يقول: (إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى).

٤- القلب الواسع الرحيم الذي يريد الخير لجميع الناس، حتى أعدائه يبكي عليهم يوم عاشوراء، لأنهم يدخلون النار بسببه.

---

(١) ضربوا الطفل الرضيع وكان بمقدورهم أن يضربوا الإمام (عليه السلام) بدلاً عنه، لكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهّم أرادوا إخضاعه وإذلاله والضغط عليه وتحطيم قواه.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٢٤.

٥- الجد في الحياة والهدفية، لا العيش من أجل أمور زائلة تافهة، لهذا يقول: (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً)[١].

٦- أن لا نقصر بإصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال: (عليه السلام):(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

هذا وما زال للكلام بقية، وتوجد تساؤلات تستحق الإجابة عنها: ما هي مقومات شخصية الخطيب؟ وكيف يكون ناجحاً؟ وأمور كثيرة غيرها أُحيل بعضها إلى كتابي (وصايا ونصائح عامة للخطباء) الذي كتبته في مثل هذه المناسبة قبل سنتين، وإلى فرص أخرى لعل الله تعالى يمن بها علينا.

اَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلى أَوْلادِ الْحُسَيْنِ وَعَلى أَصْحابِ الْحُسَيْنِ وعلى أنصار الحسين، اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمتنا مماتهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، باقر شريف القرشي: ٢ / ٢٨٨.

حاجتنا إلى الأسوة الحسنة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، السلام على خيرة الله، السلام على البشير النذير السراج المنير ورحمة الله وبركاته، السلام على الطهر الطاهر، السلام على العلم الزاهر، السلام على المنصور المؤيد، السلام على أبي القاسم محمد ورحمة الله وبركاته، السلام على أنبياء الله المرسلين وعباد الله الصالحين، السلام على ملائكة الله الحافين بهذا الحرم وبهذا الضريح اللائذين به.

مقومات نجاح رسالة الإسلام:

قلنا في مناسبة سابقة[٢] أن أي رسالة إصلاحية ومنها رسالة الإسلام، لابد لها لكي تنجح في بناء أمة من شكلين من المقومات سميناهما الذاتية والموضوعية، وقلنا إن الذاتية منهما لها دعامتان:

الأولى: ما يرجع إلى ذات الرسالة، أعني شريعة الإسلام التي توفرت فيها كلّ عناصر الكمال من الاستيعاب لكلّ شيء، كما قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨)، ومن خطابها للجميع في قوله تعالى: ﴿هُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾(آل عمران:٩٦)، ومن خلودها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة)، ومن صيانتها من الانحراف

---

(١) محاضرة ألقيت على حشد من طلبة الحوزة العلمية في مسجد الرأس الشريف يوم ١٦/ربيع الأول/١٤٢٣هـ المصادف ٢٠٠٢/٥/٢٨ في ذكرى المولد النبوي الشريف.

(٢) في ميلاد الزهراء (عليها السلام) عندما تحدثنا عن الوالدة خديجة بنت خويلد، وسيأتي ذكرها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

والتغيير، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩) وغيرها مما لا يحتاج إلى بيان، لأنها صنعة الله تبارك وتعالى الذي له الأسماء الحسنى.

الثانية: ما يرجع إلى ذات الرسول وهو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أكمل الخلق، ربّته يد الرعاية الإلهية، لعدم وجود من هو أكمل منه حتى يُربيه ويأخذ بيده في مدارج الكمال، وعن ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[١].

ولا تكون الرسالة فاعلة ومؤثرة وتؤدي دورها في حياة الأمة إذا لم يكن حاملها مستوعباً لها قد أُشرب بها وتمثلها في حياته وجسدّها في سلوكه وواقعه، حتى عاد صورة خارجية لها وعادت صورة نظرية له، لذا لما سُئِلت إحدى أمهات المؤمنين عن سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخلاقه قالت باختصار: (كان خلُقه القرآن)[٢].

ولعدم إمكان التفكيك بين النظرية ـ ولا أقصد بالنظرية ما يراد منها في المصطلح أعني المعلومة القابلة للصحة والخطأ، وإنما أعني مجموع ما احتوت عليه الرسالة من أصول وفروع وأخلاق التي أسسها القرآن الكريم ـ والتطبيق، أي بين الرسالة وسلوك القائمين عليها، صار الناس لا يقتنعون بأي رسالة مهما كانت ترفع من مبادئ ومثل وأخلاق عالية ونبيلة إذا كان حاملوها والقائمون عليها أول من يخالفها.

وهذا أحد أسباب انحطاط المسلمين وتشوه صورة الإسلام، فكيف يقتنع الناس بحرمة شرب الخمر إذا كان حاكم المسلمين أو ولاته يشربونها على منابر المسلمين؟ وكيف يقتنعون بحرمة الغناء أو السفور أو ممارسة الفاحشة إذا كان الخليفة يعقد الليالي الحمراء لإقامتها؟

---

(١) كنز العمال: ١١ / ٤٠٦.

(٢) مسند أحمد: ٦ / ٩١.

ونحن ـ الحوزة العلمية وكل مؤمن رسالي ـ حملة رسالة إصلاحية كيف نستطيع أن نردع الناس عن الغيبة وإهانة المؤمن إذا كنا نلوكها بألسنتنا؟ وكيف نمنعهم من مشاهدة الأفلام والمسلسلات إذا كان هذا الجهاز اللعين في بيوتنا؟ وكيف نأمرهم بالصلاة في أوقاتها إذا كنا ننام عن صلاة الصبح؟ وكيف نحثهم على صلاة الليل ونحن لا نؤديها؟ أو نحثهم على إفشاء السلام ونحن لا نرد التحية بمثلها؟ فضلاً عما هو أحسن منها، وكيف نقنعهم بترك التدخين ونحن نزاوله ونصرف الأموال في سبيله بدلاً من أن ننفقها في قضاء حوائج المؤمنين وما أكثرهم اليوم.

هذا الترابط الوثيق بين الرسالة وسلوك حاملها عبّر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما أمرتكم بطاعة إلاّ كنت أول من يؤديها، ولا نهيتكم عن معصية إلاّ كنت أول من يجتنبها)[1]، ولذا قالوا: إنّ الواعظ إذا لم يكن متعظاً لم يؤثر في القلوب ولم يهذب في النفوس.

لا قيمة للعلم إذا لم يقترن بالعمل:

ومن هنا أكدت أحاديث المعصومين (عليهم السلام) ضرورة اقتران العلم بالعمل، وأنهّ لا قيمة للعلم إذا لم يقترن بالعمل، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر:٢٨) قال: (يعني بالعلماء من صدَق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم)[2]، وعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يحدّث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال في كلام له: (العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناجٍ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشد أهل النار ندامة

---

(١) تفسير كنز الدقائق: ٢ / ١٩٤.

(٢) الكافي: ١ / ٣٦، ح٢.

وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة)[١]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ أرتحل عنه)[٢]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حاير باير)[٣]، وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾(الشعراء:٩٤) قال (عليه السلام): (هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره)[٤].

نتائج تطبيق الرسالة الإسلامية:

حينما نحتفل بذكريات المعصومين (عليهم السلام) وأولهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنما نستعيد بها ذكرى التطبيقات الكاملة للشريعة، كما نحتفل بذكريات الشريعة نفسها كيوم المبعث الذي هو يوم ولادة الرسالة وانطلاقها، أو يوم الغدير الذي هو يوم تمام الشريعة وكمالها بحسب ما نطقت به الآية الشريفة، هذه الوشيجة بين النظرية والتطبيق أو قل بين الرسالة وسلوك حاملها نخرج منها بعدة نتائج:

---

(١) الكافي: ١ / ٤٤، ح١.

(٢) الكافي: ح٢.

(٣) الكافي: ح٦.

(٤) الكافي: ١ / ٤٧، ح٤.

١ ــ إن الشريعة كلما كانت أكمل فحاملها يكون أكمل، ولما كانت شريعة الإسلام أكمل الشرائع الإلهية فيكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكمل الخلق وأشرفهم.

٢ ــ إن شريعة الإسلام خالدة ودائمة، فيكون وجود المعصوم (عليه السلام) دائمياً ومستمراً، وهو ما نعتقد به ودلت عليه الأحاديث الشريفة التي مضمونها: (لا تخلو الأرض من حجة قائم مشهور أو خفي مستور)، وما جاء في حديث الثقلين: (إنيّ تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي).

٣ ــ إن الاعتداء على حامل الرسالة وممثليها من أنبياء أو أئمة إنما هو اعتداء على الشريعة نفسها، وبالعكس فإن أي اعتداء على الشريعة بتحريفها أو تمييعها أو مخالفتها إنما هو اعتداء على حامل الرسالة نفسه، لذا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾(البقرة:٦١) أي بتحريف تعاليمهم ومخالفتها وتشويهها، فليعلم هؤلاء الذين يعصون الله تبارك وتعالى بترك الصلاة أو الخمس أو السفور أو التبرج أو ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يشيعون الفاحشة في المجتمع المسلم بنشر الصور الخلاعية وفتح محلات الفسق والفجور إنما يقتلون بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

٤ ــ إن الإسلام إنما يتقدم وينتشر وتحصل القناعة به بتقدم أبنائه ــ خصوصاً العلماء والحوزة الشريفة والمؤمنين الرساليين ــ وتكاملهم وحسن تجسيدهم له، فحينما يقول الحديث: (العلماء أمناء الرسل، وحصون الإسلام) إنما يشير إلى هذه المسؤولية المزدوجة (أعني المسؤولية النظرية أو قل العلمية، ببيان محاسن الإسلام وعظمة تشريعاته وتكاملها وقدرتها على قيادة البشرية نحو السعادة والصلاح، والمسؤولية العملية بتمثيل الإسلام في سلوكهم وتفاصيل حياتهم) فهاتان مسؤوليتان لا تنفكان عن بعضهما.

وقد وعدت الأحاديث الشريفة بأنّ الله تعالى يقيّض لهذا الدين في كلّ زمان من يمثله هذا التمثيل، ليكون حصناً حقيقياً للإسلام، قال (عليه السلام): (فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1] فكونوا من هذا الخلف، فإنها فرصة متاحة لأي أحد يعمل بجد واجتهاد لتأهيل نفسه لهذا الموقع، والله تعالى لا يبخل بإعطاء المستحق حقه وهو القائل: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾(الأعراف:٨٥).

أهمية الأسوة الحسنة:

لأجل هذه النقاط ركز القرآن الكريم على أهمية الأسوة الحسنة في تربية البشر وهدايتهم وإصلاحهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب:٢١) فقد يؤثر الأسوة الحسنة في حياة الناس أكثر مما تؤثر فيهم كتب كثيرة، وأكدته الأحاديث الشريفة كما في قوله (عليه السلام): (كونوا لنا دعاة صامتين... كونوا لنا دعاة بأفعالكم لا بأقوالكم)[2].

وبمقدار ذلك تكون خطورة القدوة السيئة[3] والعياذ بالله، لذا ورد التهديد الكبير للعلماء إذا نكبوا عن الصواب وفارقوا الطريقة المثلى، لأن هذا يؤدي إلى إعراض الناس عن الشريعة، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كلّ محب لشيء يحوط ما أحب، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أوحى الله إلى داود (عليه السلام): لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي

---

(١) الكافي: ١ / ٣٢، ح٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ١ / ١١٦.

(٣) كالمطرب والممثل والرياضي.

عن قلوبهم)[١]، وعن حفص بن غياث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (يا حفص؛ يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد)[٢]، وعنه إنّه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال عيسى بن مريم (عليه السلام): (ويل لعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار)[٣] وقد اشتهرت كلمة بعضهم: (إذا فسد العالِم فسد العالَم).

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) خير أسوة:

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى عرض صورة الأسوة الحسنة في حياتنا، فنحن مسؤولون أكثر من أي وقت مضى عن دراسة حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته دراسة تحليلية، لكي نتمثلها في حياتنا وتكون نبراساً لنا، ليس فقط في حياته الشخصية الخاصة لكونه أكمل المخلوقات وأشرفها وأحقها بالإقتداء في حياتـه العامة، بل لكونه أعظم مصلح اجتماعي عرفته البشرية، ولكونه مؤسس خير أمة أخرجت للناس من العدم، ولكون قيادته المباركة وفرت للبشرية أسعد عصر من عصورها، هذه الأبعاد المتعددة في شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) جعلته أولى الناس بالتأسي والاقتداء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وأراد السعادة لنفسه ولأمته.

وقد ذكرت في بعض المناسبات وجهاً لمعنى الكلمة العامية: (إن سفرة الحسين واسعة)، ويمكن أن يراد بها عدة معانٍ بحسب ما أراد بها قائلوها، لكنني أفهم لها معنى واقعياً غير ما ذكروه، وهو أن حياة الحسين (عليه السلام) سِفرٌ مبارك يتسع كل ما يريده الطامحون إلى الكمال التواقون إلى السعادة الفارون من الحضيض، وجدُّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بهذه السعة منه

---

(١) الكافي: ١ / ٤٦، ح٤.

(٢) الكافي: ١ / ٤٧، ح١.

(٣) الكافي: ح٢.

(عليه السلام)، فلنأخذ من هذا السِفر المبارك ما يعيننا على مسؤولياتنا التي قلنا إنها أضخم من إي يوم مضى من أكثر من جهة:

مسؤوليتنا اليوم أضخم من الماضي:

١- إننا نواجه جاهلية عاتية تضرب بإطنابها أرجاء الأرض في أفكارها واعتقاداتها وفي سلوكياتها وأهوائها ونزعاتها[١]، بل إن جاهلية اليوم جمعت كل مساوئ جاهليات الأمس القريب والبعيد، وقد عقدت فصلاً طويلاً في كتاب (شكوى القرآن) لبيان مفهوم الجاهلية بحسب ما يستفاد من القرآن، وذكرت خمس عشرة نقطة التقاء بين الجاهليتين[٢] وخرجنا بنتيجة أن الجاهلية ليست فترة زمنية ومرحلة تأريخية انتهت بظهور الإسلام، وإنما هي نمط من أنماط الحياة تتردى إليه البشرية وتسقط فيه كلما ابتعدت عن شريعة الله تبارك وتعالى.

فما أحوجنا إلى أن نستلهم من سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) كيفية مواجهة هذه الجاهلية بحيث استطاع أن ينقلهم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مدة ضئيلة من عمر الزمن هي ثلاثة وعشرون عاماً، من

---

(١) من فاسقات نصبن فخاخ الفتنة والإغراء، إلى بورصات اقتصادية يسيل لها اللعاب، إلى فنانين لا عمل لهم إلا تدمير الأخلاق والقيم الاجتماعية، إلى قوانين وضعية تبيح اللواط وتجيز الزواج بين الذكور، إلى الزنا الذي يفوح برائحته الكريهة وأمراضه الفتاكة كالإيدز.

(٢) تجدها في كتاب (شكوى القرآن)، وقد تقدم في هذا الكتاب، طبعة مركز الإمام المهدي (عليه السلام) للدراسات الإسلامية.

حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام السامقة[١]، وقد ذكرت في نفس الكتاب عدة دروس مستفادة من هذه التجربة[٢].

٢ ـ إننا نقترب بسرعة من يوم الظهور المبارك لبقية الله الأعظم، ومن شروطه وصول البشرية إلى قناعة كاملة بالإسلام، وقد قلنا قبل قليل: إن القناعة بالإسلام كنظام ورؤية للحياة لا تنفك عن القناعة بسلوك حامليه ومعتنقيه، فكلما كان التطبيق أكثر صدقاً كان أسرع في حصول هذه القناعة، وقد وردت التطمينات بأن الإسلام لا يحتاج إلى جهد كبير من أبنائه لتحصل قناعة الآخرين به، لأنه يغلب العقول ويفتح القلوب بلا عناء كثير، بخلاف المبادئ الأرضية التي لا تستطيع أن تُحَصّل هذه النتيجة بكل أساليب الإغراء أو البطش والتهديد، وقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الناس لو علموا محاسن كلانا لاتبعونا)[٣]، و(كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)[٤].

والتأريخ شاهد على ذلك، فإن المغول –وهم أكثر الشعوب وحشية– ما لبثوا أن دخلوا الإسلام بعد أن اكتسحوا بلاده قتلاً ونهباً وتدميراً، وها هو ذا الغرب ينتابه القلق من إقبال أبنائه على الإسلام، فتقول إحصائية في بريطانيا: إن عشرين ألف امرأة بريطانية اعتنقت الإسلام إحداهن أستاذة جامعية أعلنت إسلامها في كلمة ألقتها في تجمع في حدائق هايد بارك الشهيرة في قلب لندن، وسوف ترى عن قريب كيف أن الإسلام يفتح قلوب أعدائه إلاّ من ضرب عليها إبليس بالأغلال كالصهاينة.

---

(١) فحاشا لله تعالى أن يترك جاهلية اليوم سدى ولا يبعث لها مصلحاً معصوماً هو الحجة ابن الحسن المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء.

(٢) تجدها في كتاب (شكوى القرآن): وقد تقدم.

(٣) بحار الأنوار: ٣٠/٢.

(٤) بحار الأنوار:٢٦١/٦٥.

ألسنا ندعو الله تبارك وتعالى أن ينتصر بنا لدينه وأن يجعلنا من أنصار وليه الأعظم؟ بل نقرأ في دعاء الافتتاح أن نكون من الدعاة إلى طاعته تبارك وتعالى والقادة إلى سبيله في دولته الكريمة؟ فها هي الخطوة الأولى والمهمة التي رسمها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١)، وشرحها أمير المؤمنين نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولة (عليه السلام): (ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد)[1].

الحرب التي يعيشها الإسلام اليوم:

٣- إننا نعيش حرباً شعواء على الإسلام بأشكال مختلفة، أحدها الحرب العسكرية التي يسمونها الحرب ضد الإرهاب، وقد اتحدوا جميعاً وتناسوا خلافاتهم وكل عداوات الأمس ليكونوا يداً واحدةً في هذه الحرب، وقد أعلنت الأخبار اليوم (٢٠٠٢/٥/٢٨) ـ وأنا أكتب هذه السطور ـ أنهم وضعوا المسمار الأخير في نعش الحرب الباردة بالاشتراك في اتخاذ القرار بين روسيا وحلف شمال الأطلسي.

وهذا الشكل من الحرب واضح وملتفت إليه، لكن الأخطر منه هو الحرب الخفية بتشويه صورة الإسلام وتمييع أحكامه وإفراغه من مضامينه والاكتفاء بالشكليات، فيسوّقوا لنا أنه لا مانع من أن تتحجب المرأة ولكن على الطريقة الأمريكية أو الفرنسية، ولا بأس بأن يلتزم الشاب بالصلاة والصوم مادام غربياً في أفكاره وولائه ومظهره، وأن يكون اهتمام الناس منصباً على الازدياد من المظاهر الدنيوية فلا يستقر في دار حتى يطمح إلى أحسن منها، وسرعان ما يبدل سيارته إلى أحدث موديل أو أثاثه، أو

---

(١) نهج البلاغة: ٣ / ٧٠.

يتفاخر بكثرة أمواله، هذا غير ضياعه في المتع المتنوعة من رياضة وفن، فلا يلبث أن يمل من متعة حتى يأتوه بغيرها؛ ليبقى في هذه الدوامة والدائرة المفرغة، ولا يلتفت إلى أهدافه الحقيقية رغم أن القرآن صريح وواضح: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(التوبة:٢٤).

ومحل الشاهد إننا لو درسنا أسباب هذا الضياع لوجدنا أن أهمها غياب القدوة الحسنة التي تبهر العقول وتدخل القلوب وتقنعهم بالاتباع والتأسي وتلغي كل ما سواها، وقد دأب الإنسان على المتابعة والمشاكلة للشخصيات التي ينبهر بها حتى في الأشياء التي لا علاقة لها بسبب انبهاره، فمثلاً هو يعجب به كبطل أفلام أو رياضي إلا أنه يقلده في ملبسه وحركاته ومظهره، بل حتى أفكاره ومعتقداته أحياناً، فإذا غابت عن حياته الأسوة والقدوة الحسنة، فإنه سينجذب إلى الأسوة السيئة من رياضي أو فنان أو بطل فلم وهمي ونحوه.

علينا ألاَّ نتبوّأ موقعاً إلا بجدارة:

لذا تجد من أهم العوامل التي جذبت الناس إلى الإسلام الانبهار والذوبان في شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، التي ظلت مؤثرة في نفوس أصحابه حتى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) بل إلى اليوم، فإن الكثير ممن اعتنقوا الإسلام إنما اعتنقوه إعجاباً بسيرة رجاله، كرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام).

وهذا ــ أي تأثير شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفوس أصحابه ــ مما شهد به الأعداء وجعل الرعب يتملكهم ويملؤهم الشعور

بالإحباط واليأس من المواجهة، وعندما خرج وفد من قريش لاستطلاع أخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه فوجدهم محدقين به يتبركون بتراب أقدامه، ولا يدعون ماء وضوئه يسقط إلى الأرض بل يتقاسمون قطراته.

وقد اقتضت المشيئة الإلهية أن لا يتبوأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا المقام الرفيع إلاّ بعد أن ملك القلوب وخطف الألباب بأخلاقه وحسن سيرته، حتى سمّوه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجاهلية بالصادق الأمين، وما وجدوا له خطلة في قول ولا زلة في فعل، وألقى عليهم الحجة بذلك حين أعلن (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته قائلاً: (لو قلت لكم أن وراء هذه الأكمة جيش جاءوا للإغارة عليكم أتصدقونني؟ قالوا بأجمعهم: نعم؛ لأنك الصادق الأمين، قال: فإني رسول الله إليكم ونذير لكم من بين يدي عذاب أليم، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا).

وهذا درس يمكن أن نستفيده من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير ما ستأتي الإشارة إليه أن لا نتبوأ موقعاً اجتماعياً إلاّ حينما نكون أهلاً له، بحيث تتوفر القناعة الكاملة لدى الأمة باستحقاق هذا الموقع.

وحياته (صلى الله عليه وآله وسلم) حافلة بالكثير مما يتأسى به، وكيف لا يكون كذلك وهو صنو القرآن الذي هو ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(النحل:٨٩) و﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، والقرآن شفاء وهدى ورحمة ونور وبيان وذكر ومبارك وحكيم وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، وقد أشبعنا البحث عن هذه الملازمة في كتاب (شكوى القرآن).

ما هي الأمور التي يمكن أن نتأسى بها؟

ولكي نختصر الوقت ونخفف عنكم المؤونة نلفت أنظاركم إلى بعض ما يمكن أن نتأسى به من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعيننا على أداء

مسؤولياتنا، وسنجعله على شكل نقاط، وهي عبارة عن سلسلة محاضرات بعنوان (الأسوة الحسنة في بناء الذات وإصلاح المجتمع)[1] لكني أختصرها لكم بذكر عناوينها وقد ذكرت بعضها في مناسبات متعددة، لكن تذكرها ضروري، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ومنها:

١ ـ المعرفة بالله تعالى والإخلاص له، فما من كلمة يقولها أو فعل يفعله أو ترك يتركه إلا لله تبارك وتعالى، ولو خيِّر بين أمرين اختار أرضاهما لله، وكان على ذكر دائم لله دلَّ عليه ما روى من مكارم أخلاقه، حيث تجد له في كل حالٍ ذكراً، فللأكل دعاء، وللنوم دعاء، وللتخلي دعاء، وللوضوء دعاء، وللسفر دعاء، فكانت حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) كلها عبادة وفناء تام في الله سبحانه، وإذا اقتضت طبيعته البشرية وجسده المادي أن يعطيه حقه من النوم والأكل ونحوهما مما يراه (صلى الله عليه وآله وسلم) غفلة عن الله تبارك وتعالى وتقصيراً في وظائف العبودية، فكان يستغفر الله سبحانه من ذلك حتى نزل الوعد من قبل المولى تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:١-٢) وإن كان الاعتقاد أنهم (عليهم السلام) إذا ناموا نامت أعينهم فقط، أما قلوبهم فهي واعية متصلة ببارئها، كما هو المنقول عنهم (عليهم السلام).

وقد ربّى أصحابه المخلصين على هذه العبودية الكاملة، فيوصي أبا ذر (رضي الله عنه): (يا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، ويقول له ما معناه: يا أبا ذر إنك تستطيع أن تجعل كل حياتك طاعة لله تبارك وتعالى حتى أكثر الأمور ارتباطاً بشهوات النفس كإتيانك امرأتك، فقال أبو ذر (رضي الله عنه): وكيف يا رسول الله (صلى الله

---

(١) طبعت لاحقاً في كتاب بعنوان (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) وهو مدرج في هذا الكتاب كما سيأتي بإذن الله تبارك وتعالى.

عليه وآله وسلم)؟ -فبينها (صلى الله عليه وآله وسلم) له-: أليس في هذا العمل إدخال السرور على أهلك وتحصين نفسك وزوجتك من الحرام وزيادة عدد النسمات الموحِّدة لله، وكل تلك النيات وغيرها طاعات وقربات إلى الله تعالى).

ولمعرفته بحقيقة العبودية لله سبحانه كان كثير العبادة لا يفتر عنها[1]، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قرّة عيني الصلاة) لأنها معراجه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقربانه واتصاله بالحبيب، يصلي حتى تتورم قدماه فيقف على واحدة ويرفع الأخرى لتستريح قليلاً فأشفق الله عليه بقوله: ﴿طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾(طه:١-٢).

الإعراض عن الدنيا المحللة:

٢ - الإعراض عن الدنيا وعدم الاغترار بها، وطبعاً نقصد بالدنيا المحللة منها لا المحرمة، لأن اجتناب المحرمات من أول شروط العصمة المتحققة فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) والاهتمام بالأعمال الصالحة، يوصي قيس بن عاصم المنقري: (يا قيس؛ إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء حسيباً وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكلّ سيئة عقاباً، وإن لكلّ أجل كتاباً، وإنه يا قيس لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك، لا يحشر إلاّ معك ولا تحشر إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ

---

(١) واعلم أن باب الله تعالى مفتوح للجميع حيث لا بخل في ساحته تعالى ولكن الأمر يحتاج شيئاً من الالتفات والهمة والمواظبة على العبادة وخصوصاً قراءة القرآن وأدعية المعصومين (عليهم السلام) فإنها تؤثر تأثيراً نورانياً في النفس وإن لم تقرأ بخشوع.

عنه، ولا تبعث إلاّ معه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشاً لا تستوحش إلاّ عنه، وهو عملك)[١].

نزل جبرائيل الأمين (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً وقال له: (إنّ العلي الأعلى يُقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام وهو يقول لك أن لو شئت صيرت لك تهامة ذهباً وفضةً وأنت على ما أنت عليه من المقام الرفيع عند الله تبارك وتعالى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): حبيبي جبرائيل ثم ماذا؟ قال: الموت، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذن دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، أما اليوم الذي أجوع فيه فأسأل ربي وأصبر، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأشكر ربي)[٢]، فما الذي يضرنا لو قللنا إقبالنا على الدنيا واكتفينا منها بالضروري لنكون من المخفّين الذين يقال لهم جوزوا، لا المثقلين الذين يقال لهم حطوا.

٣ ـ قوة الإرادة والثبات على الحق، فلا يحيد عنه مهما كانت المغريات أو الضغوط، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) القائل لعمه أبي طالب (عليه السلام) لما جاءته قريش وعرضت عليه عروضاً مقابل تخليه عن الدعوة إلى الله، إن شاء ملكاً ملّكناه أو مالاً جمعنا له أو امرأة زوجناه أجمل نسائنا، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه).

ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن إيمان المؤمن بأنه (أقوى من الجبل. قيل: و كيف يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لأن الجبل يُستقل منه بالمعاول ولا يُستقل من إيمان المؤمن شيء)، لم يثنه

---

(١) الخصال: ص١١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٧٦.

الأذى الجسدي ولا المعنوي عن مواصلة رسالته، فقد وصفوه بأسوء الصفات: ساحر، كذاب، مجنون، واتهموه بأشنع التهم حتى لم يسلم من الطعن في شرفه كما في حديث الإفك الذي تقصه سورة النور.

٤ ـ الاهتمام بأمور المسلمين وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) القائل: (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع منادياً ينادي بالمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)، أين نحن من هذا الشعور بالمسؤولية وتذويب الأنانية لمصلحة الأمة، وهل يسوغ لنا أن نهتم بأنفسنا ونعتني بمصالحنا الخاصة ونترك حبل المجتمع على غاربه ولا تتحرك مشاعرنا لما يُعانيه فنعمل على مساعدته بما نستطيع، حتى إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسعى بمشاريع الزواج والتوسط للتوفيق بين الرجال والنساء على سنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيبعث جويبر إلى أشرف نساء قومها لتزوجه بوساطته (صلى الله عليه وآله وسلم).

٥ ـ الاهتمام بالقرآن الكريم شغفاً به، لأنه رسالة الحبيب وهل تُمَل رسالة الحبيب؟ وامتثالاً لأمره تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:١-٥).

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلب من ابن مسعود أن يتلو القرآن عليه، فيقول ابن مسعود: اقرأه عليك وقد نزل عليك، فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب أن أسمعه منك)، يريد أن يمتع جميع جوارحه بكلام الله تعالى، فيقرأ ابن مسعود وعين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تفيض من الدمع.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينام حتى يقرأ سور المسبّحات، أي التي تبدأ بكلمات التسبيح، ويوصي (صلى الله عليه وآله وسلم)

بتلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل به، ويبين الثواب العظيم لذلك، وقد بينا بعضاً منه في كتاب (شكوى القرآن).

وإنك لتشعر أنّ أي مصلح اجتماعي أو قائد عظيم لا يكون ناجحاً إلا إذا عاش في ظل القرآن وتربى في أحضانه وتفاعل مع آياته.

٦ ـ التواضع[1] بحيث كان الأعرابي يدخل إلى المسجد فيقول: أيكم محمد؟ لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتميز عن أصحابه بمجلس أو ملبس أو أي شيء آخر، يواسي في حياته أدناهم، وهو يفعل ذلك أدباً مع الله تعالى واستشعارا للحقارة في حضرة الربوبية.

٧ ـ عدم الاستماع إلى النميمة ونقل الكلام السيئ عن أصحابه خصوصاً من المتزلفين وضعيفي النفوس، فكان إذا أراد أحد أصحابه أن ينقل كلاماً سيئاً عن أحد منعه، وقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب أن أمضي عنكم وأنا سليم الصدر).

٨ ـ عدم اتخاذ بطانة وحاشية غير مخلصة لله تعالى، أو تفكر في الانتفاع من مواقعها وجني مكاسب شخصية ولو على حساب الدين والأمة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(آل عمران:١١٨).

٩ ـ الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وقد امتدحه الله تبارك وتعالى عليها قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:٤)، وفي وصيته لأمير المؤمنين (عليه

---

(١) روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب غرر الحكم هذه الروايات:

١ ـ لو رخص الله سبحانه في الكبر لأحد من الخلق لرخص فيه لأنبيائه لكنه كره إليهم التكبر ورضي لهم التواضع.

٢ ـ ثلاث يوجبن المحبة حسن الخلق و حسن الرفق و التواضع.

٣ ـ أشرف الخلائق التواضع و الحلم و لين الجانب.

السلام): (عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، عليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها، فإن لم تفعل فلا تلومنّ إلا نفسك)، وقد جعلها (صلى الله عليه وآله وسلم) محور رسالته قائلاً: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وهذه النقطة وحدها تستوعب مجلدات من الكلام والمصادر حافلة بالشواهد التفصيلية[1].

١٠ ـ التركيز على أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير الشديد من التقاعس عن أدائها، فقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[2] وهذه المراحل الثلاث كلها وصلتها الأمة كما هو واضح، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له، قال: الذي لا ينهى عن المنكر)، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع

---

(١) جاء في كتاب أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) تعريف حسن الخلق: هو حالة نفسية تبعث على حسن معاشرة الناس ومجاملتهم بالبشاشة وطيب القول، وكما عرّفه الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن حده فقال: (تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى أخاك ببشر حسن). وقال (عليه السلام): (إن شئت أن تُكرَم فَلِن وإن شئت أن تُهان فأخشن) تحف العقول. وقال (عليه السلام): (إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم). من لا يحضره الفقيه.

(٢) الكافي:٥/٥٩.

من الله)، فاحذروا أيها الأخوة من التواكل والتخاذل والتقاعس عن أداء هذه الوظيفة الإلهية العظيمة.

١١ ـ الاهتمام بنشر العلم والمعرفة في جميع الحقول، وكان يوصي أمته قائلاً: (اطلبوا العلم ولو في الصين) باعتبارها أبعد نقطة مقصودة يومئذ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله؛ فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة فيه تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والتزين عند الأخِلاّء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم ويهتدي بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم...) إلى آخر الحديث، وفي معركة بدر جعل مما يفدي الأسير نفسه أن يعلم عشرة من المسلمين. فأين أدعياء الحضارة اليوم من هذا التفكير الواعي في ذلك الزمان البعيد؟

١٢ ـ احتضان الشباب ورعايتهم فقد أوصى (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوصيكم بالشباب خيراً فأنهم أرق أفئدة)؛ لأنّ قلوبهم ما زالت نقية وقريبة العهد بالفطرة، ولم تتكدر بالذنوب فتحرم من نور المعرفة، فلا عجب أن يكون أسبق الناس إلى اتّباعه هم الشباب، وفي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) يسأل أحد أصحابه: كيف حال دعوتكم في الكوفة؟ فأخبره بأنها تواجه صعوبات كثيرة وقلّة استجابة، فقال (عليه السلام) ما معناه: (عليكم بالأحداث، فإن قلب الحدث كالأرض الطيبة)،

وقد بسطت الكلام نسبياً عن ذلك في محاضرات (الحوزة ومشاكل الشباب).

١٣ ـ محاربة العادات الاجتماعية السيّئة والقضاء عليها، فمثلاً كانت قريش لا تزوج نساءها لغيرها، فزوّج ضباعة بنت عمه الزبير بن عبد المطلب وهي من أشرف بيوتات قريش إلى المقداد بن الأسود، وزوج زينب ابنة عمته من متبناه زيد بن حارثة، ثم تزوجها بعده، وقد كان العرب لا يتزوجون زوجات متبنيهم، ويوصي بالبنات ويقول: إنهن حسنات، ويبين عظمة ابنته الزهراء وشرفها في قوم كانوا يئدون البنات ويعتبرونهن عاراً، بل إن الله سمّى ابنته الكوثر وجعل نسله منها، والأبتر هو من عيّره بعدم الولد.

١٤ ـ الحث على الحضور في المساجد وصلاة الجماعة والشعائر الدينية، فعن الصادق (عليه السلام) قال: (اشترط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جيران المسجد شهود الصلاة)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لآمرن مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم أأمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي (عليه السلام) فليحرقن على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة).

ويحذر الأمة من أن يشكوهم المسجد والقرآن والعترة يوم القيامة، فعن جابر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (يجيء يوم القيامة ثلاث يشكون لله عز وجل: المصحف، والمسجد، والعترة، يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فاجثوا للركبتين للخصومة، فيقول الله جل جلاله لي: أنا أولى بذلك).

وقد حررنا شكويين[1] منها بعنوان (شكوى المسجد) و(شكوى

---

(١) ثم حررت الثالثة بعنوان: (شكوى الإمام (عليه السلام)).

القرآن)، ويصل الاهتمام إلى درجة أنّ رجلاً أعمى يأتيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول له: أنا ضرير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (شُدَّ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة).

١٥ ـ التشديد على الوحدة بين المسلمين وعدم إعطاء أية فرصة لإيقاع الفرقة بينهم، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾(آل عمران:١٠٣) وفسر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حبل الله الذي بالاعتصام به تحفظ وحدة المسلمين فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وإني تارك ـ مخلّف ـ فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القران والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عز وجل ما إن تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بأيديكم).

وذات يوم عمل بعض اليهود على الوقيعة بين الأوس والخزرج، وذكرهم بعداواتهم في الجاهلية ومن قتل من أشرافهم، حتى ثارت عصبيتهم فتواعدوا القتال كما كانوا يفعلون فى الجاهلية، فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك، فخرج مسرعاً يجر رداءه حتى وافى القوم قبل أن يقع السيف بينهم، فوعظهم وذكرهم، فتابوا وعادوا إلى رشدهم. فاحفظوا وحدتكم أيها الأحبة ولا تعطوا فرصة للأعداء ليوقعوا بينكم فلا يوجد شيء يستحق الاختلاف بيننا.

١٦ ـ الإكثار من ذكر الموت[1]، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يسميه هادم اللذات، ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن القلوب لتصدأ كما

---

(١) إتماماً للفائدة نورد هذه الرواية من كتاب مصباح الشريعة ص١٧١: قَالَ الصَّادِقُ (عليه السلام): (ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ وَيَقْطَعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ وَيُقَوِّي النَّفْسَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ وَيُرِقُّ الطَّبْعَ وَيَكْسِرُ أَعْلامَ الْهَوَى وَيُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ

يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن)، وكان يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّي ما أطبقت عينيّ إلاّ وظننت إنّي لا أفتحهما، ولا فتحتهما إلاّ وظننت إني لا أطبقهما)، ولذكر الموت فوائد عديدة: العظة والاعتبار وتحقير الدنيا وعدم الإكتراث بها، ترقيق القلوب، استباق الخيرات، والإكثار من الأعمال الصالحة، وغيرها.

١٧ ـ الاهتمام بالمرأة من حيث تثقيفها وتعليمها وإعطاؤها حقوقها وهو بذلك يرد على الأفكار والمعتقدات الجاهلية التي تمتهنها وتجعلها سلعة بيد الرجل يقضي بها حاجته ثم يرميها في سلة المهملات، فبيّن تعالى أن المرأة كالرجل في المسؤولية وتحمل التكليف في قوله تعالى: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾(آل عمران:١٩٥).

وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَ هُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَحُلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّنْيَا وَيَشُدُّهَا فِي الآخِرَةِ وَلا تَسْكُنْ بِزَوَالِ الرَّحْمَةَ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَمَنْ لا يَعْتَبِرْ بِالْمَوْتِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ وَطُولِ مُقَامِهِ فِي الْقَبْرِ وَتَحَيُّرِهِ فِي الْقِيَامَةِ فَلا خَيْرَ فِيهِ قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ قِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ الْمَوْتُ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةٍ إِلا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَلا فِي شِدَّةٍ إِلا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَالْمَوْتُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ وَآخِرُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الدُّنْيَا فَطُوبَى لِمَنْ أُكْرِمَ عِنْدَ النُّزُولِ بِأَوَّلِهَا وَطُوبَى لِمَنْ أُحْسِنَ مُشَايَعَتُهُ فِي آخِرِهَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ الأَشْيَاءِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَهُوَ يَعُدُّهُ أَبْعَدَ فَمَا أَجْرَأَ الإِنسان عَلَى نَفْسِهِ وَمَا أَضْعَفَهُ مِنْ خَلْقٍ وَفِي الْمَوْتِ نَجَاةُ الْمُخْلِصِينَ وَهَلاكُ الْمُجْرِمِينَ وَلِذَلِكَ اشْتَاقَ مَنِ اشْتَاقَ الْمَوْتَ وَكَرِهَ مَنْ كَرِهَ قَالَ النَّبِيُّ(صلى الله عليه وآله وسلم) مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

وربّى (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته الزهراء (عليها السلام) لتكون سيدة نساء العالمين، وكان يبيّن لها تفاصيل رسالته العظيمة كما كانت هي تلتقط أخبار أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) أولاً بأول من خلال ولديها الحسنين (عليهما السلام)، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يستقبل النساء ويجيبهن عن أسئلتهن وقد صدرت منه كلمات ثناء وإطراء على عدد منهن كأم سلمة وأم أيمن وأسماء بنت عميس وهند أخت عبد الله والد جابر الأنصاري وغيرهن، وبذلك أعطاهن دورهن الكامل في الحياة بشكل لم تعطيه لهن أي شريعة أو نظام، حتى المتشدقين بحقوق المرأة اليوم وهم يريدونها بذلك أن تكون وسيلة لإشباع شهواتهم وغرائزهم ويمتهنون بذلك كرامتها.

اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمتنا مماتهم، رب أدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفقه الاجتماعي ضرورة حضارية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين[٢].

لمحات من دعاء عرفة:

اللّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشاكَ كَأَنِّي أَراكَ[٣]، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْواكَ، وَلا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ، وَخِرْ لِي فِي قَضائِكَ، وَبارِكْ لِي فِي قَدَرِكَ، حَتّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ ما أَخَّرْتَ وَلا تَأْخِيرَ ما عَجَّلْتَ،... إِلهِي وَسَيِّدِي أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُكَ، وَنَهَيْتَنِي فَارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ، فَأَصْبَحْتُ لا ذا بَراءَةٍ لِي فَأَعْتَذِرُ، وَلا ذا قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرُ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَسْتَقْبِلُكَ يا مَوْلايَ؟ أَبِسَمْعِي أَمْ بِبَصَرِي أَمْ بِلِسانِي أَمْ بِيَدِي أَمْ بِرِجْلِي؟ أَلَيْسَ كُلُّها نِعَمَكَ عِنْدِي؟ وَبِكُلِّها عَصَيْتُكَ يا مَوْلايَ؟ فَلَكَ الْحُجَّةُ وَالسَّبِيلُ عَلَيَّ،...

---

(١) محاضرة ألقيت بتأريخ ٣/شعبان/١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٢١ م ، بمناسبة ذكرى ولادة الإمام الحسين (عليه السلام).

(٢) اعتدنا في خطبنا كخطباء وفي دروسنا كمدرسين أن لا نعطي لله سبحانه وتعالى أكثر من هذا السطر (الحمد لله...) ومن ثم ندخل في معمعة الكلام ولكن يجب أن يكون لله نصيب في كلامنا أكثر من هذا، وهذا تقصير، كان السيد (قدس سره) في خطب الجمعة وكلكم سمعتموه يعطي حيزاً كبيراً في خطبه لله وأهل البيت (عليهم السلام) ومن الممكن أن نقتطع بهذه المناسبة بعض الفقرات من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة الذي يعتبر من مفاخر أهل البيت (عليهم السلام).

(٣) كما في وصيته (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر: (فإن لم تكن تراه فهو يراك).

اللّهُمَّ إِنَّكَ أَقْرَبُ مَنْ دُعِيَ، وَأَسْرَعُ مَنْ أَجابَ، وَأَكْرَمُ مَنْ عَفى، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطى، وَأَسْمَعُ مَنْ سُئِلَ، يا رَحْمنَ الدُّنْيا وَالآخرةِ وَرَحِيمَهُما، لَيْسَ كَمِثْلِكَ مَسْؤولٌ، وَلا سِواكَ مَأْمُولٌ، دَعَوْتُكَ فَأَجَبْتَني، وَسَأَلْتُكَ فَأَعْطَيْتَني، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَني، وَوَثِقْت بِكَ فَنَجَّيْتَني، وَفَزِعْتُ إِلَيْكَ فَكَفَيْتَني[1]،... ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ؟[2] وَما الَّذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟! لَقَدْ خابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً، كَيْفَ يُرْجى سِواكَ وَأَنْتَ ما قَطَعْتَ الإِحْسانَ؟ وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مابَدَّلْتَ عادَةَ الامْتِنانِ؟ يا مَنْ أَذاقَ أَحِبَّاءَهُ حَلاوَةَ الْمُؤانَسَةِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ، وَيا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيائَهُ مَلابِسَ هَيْبَتِهِ فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَغْفِرِينَ، فصلِّ على محمد عبدك ورسولك وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

كيان الأمة الإسلامية:

يستفاد من النصوص الشرعية كتاباً وسُنة أن للأمة كياناً وماهية وحقيقة ووجوداً لا مجرد كونه تجمع أفراد، وبلحاظ هذا الكيان توجه إليه التكاليف الشرعية:

١ ـ من الكتاب العزيز: فقوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾(الحجر:٥) وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(الأعراف:٣٤) فللأمة أجلٌ بغض النظر عن آجال أفرادها.

---

(١) وهذا الدعاء يحتوي الكثير من بيان هذه المفارقة بيني أنا مع الله، والله معي، فمن جهته تبارك وتعالى كلّه نعم وكلّه تفضل، وأنا معه كلّي عصيان وغفلة وتقصير.

(٢) فليسمع هؤلاء المتشبثون بالدنيا.

٢ ـ من السنة الشريفة: فقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1].

وفي حديث آخر شبّه أفراد المجتمع بركاب السفينة الذين يملك كل منهم جزءاً منها لا يستطيع أحدهم أن يقلع جزءه ويقول: هذا لي وأنا حرٌ في أخذه، لأن نتيجة ذلك غرق السفينة كلها بمن فيها.

فلو كانت الأمة مجرد عدد رقمي للأفراد لما نّبه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هذه الرابطة، فإن الجسد ليس مجرد مجموع عدد من الأجزاء، بل هو مركب له وجود وحقيقة وماهية، وكذا السفينة، وهما مثالان واضحان يُقرّبان فكرة أن الأمة أيضاً كيان مركب من عدد من الأفراد، وكما إن للفرد خصائص ومميزات تُكسبه الصورة الخاصة به، كذلك المجتمع.

وكما إن الفرد يُولد ويموت ويمتلك مقومات القوة والبقاء ثم يضعف ويموت، كذلك الأمم تولد وتنمو وتحصل لها عناصر الديمومة والبقاء، أو تنخر في جسدها آفات العلل والأمراض فتموت، وهي كما أشارت إليه الآية المتقدمة، والتأريخ أمامنا يشهد على حصول ذلك قديماً وحديثاً، فكم من أمة أو حضارة ولدت وازدهرت ثم نخرت في جسدها الآفات والأدران الاجتماعية حتى فتكت بها واندثرت.

وكما إن للفرد مصالحه وملاكاته ـ بحسب التعبير العلمي ـ التي أوجبت أن يُكلف بأحكام شرعية، فأوجب المولى تبارك وتعالى عليه الصلاة لتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وأوجب عليه الصوم ليقوي إرادته ويتدرب على أن يملك زمام نفسه مثلا، فكذلك الأمة لها مصالح وملاكات توجب أن يكون لها أحكام من نوع آخر متوجهة إليها كأمة مجتمعة لا كأفراد، غير ما ألفناه في الأحكام

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ / ١٥٠.

الفردية، والفرد مسؤول عن التكليفين معاً، ولكنه في أحدهما مسؤول عنه شخصياً بغض النظر عن قيام غيره به وعدمه كالصلاة والصوم، أما الآخر ـ أعني تكليف الأمة ـ فهو مسؤول عنه بما هو جزءٌ من هذا الكل المركب الذي سميناه الأمة أو المجتمع.

التكاليف الاجتماعية:

هي تلك التكاليف المتوجهة إلى المجتمع كمركب مترابط الأجزاء.

والتكاليف الاجتماعية كثيرة في المجتمع وفي أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) سواء على المستوى الشرعي أو الأخلاقي، لكنها مشتتة ومتفرقة ومبثوثة في أبواب متعددة وتحت عناوين التكاليف الفردية، وهذا ناشئ من النظرة الفردية التي حكمت أذهان الفقهاء، وأعني بالنظرة الفردية أن الفقيه حينما يفكر ويستنبط فإنه يتصور أمامه فرداً مسلماً يُريد أن يبرئ ذمته أمام الله تعالى ويُنجي نفسه من عقوبته، ولا يتصور أمامه مجتمعاً مسلماً يريد أن يجسّد الشريعة الإلهية في حياته.

ولا شك أن تحديد الهدف وتصوره سواء كان فرداً أو مجتمعاً هو الذي يرسم منهج العمل والسلوك ويحدد معالم التفكير.. فأنت كطالب بالحوزة الشريفة قد يكون هدفك الاجتهاد أو خدمة المنبر أو تأليف الكتب أو أن تصبح مفكراً أو وكيلاً للمرجعية في جهة ما، فإن اختلاف الأهداف يؤدي إلى اختلاف المنهج الدراسي الذي ترسمه لحياتك، فمنهجك الدراسي وأنت تستهدف الاجتهاد غيره وأنت تريد أن تصبح خطيباً منبرياً في مدينة ما.

ومن هنا كان لغياب الهدف الاجتماعي عن أذهان الفقهاء بغض النظر عن أسبابه ومبرراته الأثر الكبير في تباطؤ بل تجميد الفقه الاجتماعي الذي هو ليس غريباً ولا مبايناً للفقه الفردي الموجود، بل إنه يولد في أحضانه، بل نستطيع أن نقول: أنّهما يشتركان في أكثر المسائل سوى تصنيفها وترتيبها، فيستنبط الفقيه

أولاً ما يراه حجة ما بينه وبين الله تعالى من المسائل في أبواب الفقه المتعددة، ثم يحاول إعادة صياغة المسائل ولمّ شتاتها في قوالب جديدة وتحت عناوين جديدة لنصطلح على تسميتها (نظريات) مع التحفظ على استعمال هذا العنوان، ولكنه أقرب المصطلحات إلى أذهاننا، فهذا إذن فرق جديد بين التكاليف الفردية والاجتماعية.

الفرق بين التكاليف الفردية والاجتماعية:

التكاليف الفردية تكون على هيئة مسائل، بينما التكاليف الاجتماعية تكون على شكل نظريات ونظم وقوانين، فإذا أردت أن أدرس النظام الاجتماعي في الإسلام فإن مسائله مشتتة في كتب عديدة كالنكاح والطلاق والميراث، وهذا التبويب فردي[1] أو أردت أن أضع قانون الأحكام الجنائية مثلاً فأستخرجه من كتب الحدود والديات والترافع والقضاء وهكذا.

وقد جربنا ذلك في (فقه طلبة الجامعات) مثلاً أو (فقه الموظفين) أو (فقه سائقي السيارات) أو (فقه السوق) أو (فقه الحلاقين) أو (فقه العشائر) وغيرها وهي لم تضم أكثر من هذه المسائل الفقهية المتعارفة، إلا إنّ الجديد فيها الذي أوجب تفاعل المجتمع معها هو الصياغة والطرح وشكل الخطاب، فبدلاً من أن يكون الخطاب عاماً ومشتتاً يصعب على الفرد أن يجد ضالته فيه، أصبح الخطاب في مثل هذه الكتب مباشراً، فشعور السائق مثلا بالمسؤولية الذي يدفعه نحو التطبيق تجاه كتاب (فقه السياقة) أشد وآكد من شعوره تجاه مسائل متفرقة متوزعة في أبواب عديدة في الرسائل العملية.

---

(١) أما إذا أردت أن تستخرج منها نظرية اجتماعية للإسلام فهذا هو التفكير الاجتماعي فإنه يولد في أحضان التكليف الفردي لكن بصياغة وطرح جديد.

ما هو المقصود من التكاليف الاجتماعية؟

وهذه الأمثلة ليست هي ما أعنيه بالتكاليف الاجتماعية، وإنما هي تقترب منها من حيث تأثيرها بالمجتمع، وإنما اقصد بالتكاليف الاجتماعية تلك التكاليف المتوجهة إلى المجتمع بما هو مركب مترابط الأجزاء، ولا يكفي في التمييز بينهما أن يكون الأول (الفردي) بلسان المفرد والثاني (الاجتماعي) بلسان الجمع، فإن خطاب: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾(البقرة:١٨٣) بلسان الجمع وهو من التكاليف الفردية، بينما خطاب قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(آل عمران:١٠٤) وخطاب ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة:١٢٢) هي تكاليف اجتماعية فكيف نميز بينهما؟.

كيفية التمييز بين التكاليف الاجتماعية والفردية:

أولاً: بالملاكات والمبادئ كما يعبرون، أي العلل التي وراء صدور هذه التشريعات والأغراض التي شرعت الأحكام لتحقيقها، فإن المصالح والأغراض في (التكاليف الفردية) تعود للفرد نفسه، وأما الثاني (التكاليف الاجتماعية) تعود المصلحة للمجتمع...

الثاني: بالآثار، فإن قيام الشخص بالتكليف الفردي يؤتيه ثماره سواء قام به غيره أم لا، كالصلاة مثلاً فإن الآية أشارت إليه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم[1]﴾(المائدة:١٠٥)، بينما

---

(١) يتصور البعض إن هذه الآية دليل على عدم وجوب هداية الآخرين وهذا تفكير خطير يحاول أعداء الدين إفشائه في مجتمعنا والصحيح إننا يجب أن لا ننظر إلى آيات القرآن الكريم من جهة ونترك الجهات الأخرى أو قل إن نظرتنا للقرآن يجب أن تكون شمولية مستوعبة لجميع أحكام الكتاب فالقرآن بعضه يكمل بعضا==

الثاني لا تحصل آثاره الإيجابية إلا إذا قام به المجتمع ككل، كما إن الآثار السلبية لعدم امتثال المجتمع له تعم حتى الذي قام به وأبرأ ذمته كفرد أمام الله تعالى، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذي أشارت إليه الآية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾(الأنفال:٢٥) وهذا أحد وجوه الجمع بين الآيتين، وبدون الجمع يبدو التهافت بين الآيتين.

الثالث: ويختلفان بطبيعة التفكير واتجاهه، فبينما يعمل التفكير الفردي على التوفيق بين الواقع وإن كان فاسداً كما هو الغالب وأحكام الشريعة، فيجدون الحلول والتبريرات للتعايش مع هذا الواقع مما يسمى أحياناً بـ(الحيل الشرعية)، وهي لها ما يصححها في قواعد الشريعة وأصولها، وأوضح مصاديق ذلك التعامل مع المصارف الربوية.

أما التفكير الاجتماعي فإنه يطرح واقعاً جديداً تصنعه الشريعة كبديل صالح لذلك الواقع الفاسد، والثاني أقرب كما هو واضح لذوق الشريعة الإلهية ومناسب لما تتضمنه من عقائد، وحسب تعبير سيدنا الأستاذ (قدس سره): إنّ الصحيح هو رفع الواقع إلى مستوى الشريعة لا إنزال الشريعة إلى مستوى الواقع، وفي ضوء هذا الفهم ستجد كلاماً غريباً يقوله الفقهاء (قدس الله أرواحهم) كقولهم في مباحث قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) أنّ هذا الحديث منقوض بأحكام ضررية كثيرة موجودة في الشريعة كالجهاد والخمس، فإن في الأول إزهاقاً للنفوس وإن في الثاني إتلافاً للأموال.

==وبعضه يفسر بعضا وقد ذم القرآن الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾(البقرة: ٨٥) فنلاحظ تركيز الكتاب الكريم في كثير من المواضع على هداية الآخرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل نلاحظ ان معيار تفضيل القرآن لامتنا على سائر الأمم هو التزامها بهذه الفريضة الشريفة.

الرابع: بصيغة الطرح وشكل الخطاب، فإن الأول (الفردية) عبارة عن مسائل متفرقة، بينما الثاني (الاجتماعية) يكون بشكل نظريات ونظم وقوانين كما في مصطلح اليوم.

الخامس: بالأصول والقواعد التي يستند إليها، فقد يجري أصل البراءة في موضوع معين من حيث التكليف الفردي، ولا يجري فيه من حيث التكليف الاجتماعي، وينتج أن موضوعاً واحداً له حكم معين إذا لوحظ على صعيد التكليف الفردي، يتغير حكمه إذا لوحظ على الصعيد الاجتماعي، كالرياضة مثلاً أو التكسب بفتح صالات الأتاري مع عدم الرهن أو التدخين أو تجارة المخدرات أو عصير الشعير الخالي من الكحول مما يسمى بـ(البيرة الإسلامية)، وقد عالجناها في استفتاءات تفصيلية صدرت في مناسبات متفرقة.

إنّ اختلاف الأحكام تبعاً لاختلاف النظر بحيث تجد الحكم على المستوى الفردي غيره على المستوى الاجتماعي ليس تلاعباً بالأحكام الشرعية، بل هو من باب تبدل الأحكام بتبدل العناوين، فالاحكام بالعناوين الأولية غيرها بالعناوين الثانوية، فمن الخطأ أن نجري قواعد أحد التكليفين في الآخر.

فلعبة كرة القدم ليست منكراً لذا لم يفتِ أحد بحرمتها، لكن عندما تستحوذ الكرة على مشاعر الناس وعواطفهم ويتركز الاهتمام عليها بشكل كبير حتى تصبح إلهاً يطاع، وتتوجه إليه الأفئدة والعقول، وتصرف عليه المليارات، وتذبح له القرابين البشرية وليس فقط الحيوانية، كما سمعنا بحوادث كثيرة ذهب ضحيتها البشر، بل تقاتلت من أجلها دول كما حصل بين السلفادور والهندوراس، فإذا أصبحت الكرة هكذا إلهاً يعبد من دون الله، بالمعنى الذي يستفاد من القرآن الكريم للعبادة الذي ذكرناه آنفا، يصبح منكراً اجتماعياً يحتاج إلى معالجة، بحيث إنهم أنفسهم يسمونها (الكرة معبودة الجماهير)، فهم يقرّون بالعبادة لها، ونحن نردد هذا العنوان بسذاجة وبلا وعي، ولا ندرك ما يحوكون لنا من خطط لصرفنا عن معبودنا الحقيقي، فصنعوا لنا أهدافاً وهمية من شباك

نتنافس على إدخال الكرة فيها، ليشغلونا عن الأهداف الحقيقية التي هي نيل رضا الله تبارك وتعالى وإعمار الحياة وفق ما رسم لنا من منهج.

وإنه لمما يثير السخرية والاستهزاء ما يتشدق به هؤلاء من أنهم استغنوا عن نظام الأضوية المرورية عند تقاطعات الشوارع، لأن فيه تأخيراً مدة دقيقة، وأبدلوها بالإنفاق والجسور، وهم يضيعون الساعات يومياً في هذه الأمور العبثية التافهة، وهكذا نستطيع أن نشخص منكرات اجتماعية كثيرة لا تفهم كذلك فيما لو نظر إليها على المستوى الفردي المتعارف.

السادس: بالرتبة، فإن صياغة التكليف الاجتماعي يكون بعد استنباط الأحكام الفردية كمرحلة أولى، ثم لمّ شتات هذه المسائل وتصنيفها، ثم استخلاص النظرية الاجتماعية في المجال المحدد، كالاقتصاد مثلاً أو حقوق الإنسان أو قانون العقوبات أو الأحوال الشخصية...

أغراض تأسيس النظرية الاجتماعية:

إن التفكير الاجتماعي في الاستنباط الفقهي وتكوين نظريات إسلامية للمجتمع سواء على صعيده العام أي المجتمع عموماً، أو على شكل خطابات لشرائحه المتنوعة المهنية (كفقه الحلاقة وفقه سياقة السيارات) أو الاجتماعية (كفقه العشائر أو فقه طلبة الجامعات) أو الثقافية.. لمن أوضح (الحوادث الواقعة) التي ذكرها الإمام (عليه السلام) في مكاتبة إسحاق بن يعقوب: (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا)، وإنّه ليستحق أن يُبذل الجهد الكبير من أجل إنجازه لأكثر من غرض:

الغرض الأول: إن اهتمام الشريعة بالمصلحة العامة أكثر من المصلحة الشخصية، بحيث إنّه يضحي بالثانية ـ المصلحة الشخصية ـ عند معارضتها

للأولى ... وتجد أنّ دليل حفظ النظام من أوضح مستندات الأحكام الاجتماعية، وكذا ولاية الفقيه حاكمة على جميع الأدلة الأخرى[١].

الغرض الثاني: إننا نعيش في عالم تتصارع فيه الحضارات والثقافات والأفكار[٢]، ونواجه فيه تحديات كثيرة، ولا تواجه النظريات إلاّ بنظريات، مثلها، وأما المسائل المتفرقة التي لا تصاغ بشكل نظرية تنظم الحياة، فانها لا تستطيع الصمود أمام هذه التحديات، ويقف صاحبها عاجزاً وإن كانت تحتوي في نفسها أكبر النظريات، فالمشكلة في الطرح والصياغة، وجرب بنفسك أن تلم بجميع مسائل الفقه بشكلها المتداول، هل يكفي ذلك للخروج بنظام اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي ونحوها إن لم تُعد صياغتها من جديد وتجمع جزئياتها من الأبواب المختلفة، ثم تنظر لها نظرة كلية لتحصل على المطلوب...

الغرض الثالث: إنّ كثيراً من المشاكل التي تواجه أبناء المجتمع اليوم لا يمكن حلها و مواجهتها إلاّ بالانطلاق من نظرية متكاملة، فمثلاً عندما تعاني من الانحراف الجنسي والفساد الأخلاقي لا تحلّ هذه المشكلة بإصدار فتوى بالحرمة، بل لا بد من وضع نظرية كاملة للحل، تستند للشريعة المقدسة وتعالج المشكلة من جميع جوانبها، وعندما نريد أن نواجه معاملات مصرفية مخالفة للشريعة، لابد أن تستند الحلول إلى نظرية إسلامية للنظام المصرفي، فالمسائل الفردية تعجز عن حلّ بعض المشكلات، بينما النظرية الاجتماعية عند تقديمها تعطيك حلاً متكاملاً.

الغرض الرابع: إنها تثري الفكر البشري بعطاء لا حدود له (أي هذه الشريعة بالمنظور الاجتماعي)، لأنها صادرة من اللامتناهي، وفيها قابلية

---

(١) فإن الأحكام الفردية تضمحل وتذوب إذا عرض عليها حكم من هذين الدليلين.

(٢) هو ما يسمى بصراع الحضارات الذي ما زال يشغل الغرب الذي طرح في بداية التسعينيات.

الاستمرار على الحياة والخلود واستيعاب كل الوقائع (ما من واقعة إلاّ ولله فيها حكم)[١]، بينما تلك النظريات أرضية، لا تملك مقومات النجاح والصمود[٢].

مصطلح (الفقه الاجتماعي) له تأصيل علمي

ويمكن أن نقول: إنّ أغلب الواجبات التي اصطلح عليها الفقهاء بالوجوب الكفائي تندرج ضمن التكاليف الاجتماعية...

فالمقترح إذن إعطاء عنوان (التكاليف الاجتماعية) لهذه الواجبات التي تسمى بالواجبات الكفائية، في حين أنها تضم المميزات السابقة للتكاليف الاجتماعية، وتبقى بعض الواجبات الكفائية التي لا يتوفر فيها مناط الواجبات الاجتماعية على عنوانها.

التبريرات المساعدة لوضع البديل:

الذي يساعد على هذا التبديل ويُبرّره أُمور:

الأمر الأول: إنّ مصطلح الوجوب الكفائي مصطلح متأخر لم يكن على عهد المعصومين (عليهم السلام) لكي نتعبد به، وإنما هو عنوان أُنتزع من معناه ومفهومه، فلا مانع من تغييره.

الأمر الثاني: إنّ الوجوبات الكفائية هي فعلاً تكاليف موجهة إلى المجتمع، وقد أمر بها ككل أن يؤديها بغض النظر عمن يقوم بها، إنما

---

(١) ونحن أمام واقعة اسمها صدام الحضارات، والغرب مشغول بها والدنيا قامت ولم تقعد وهي واقعة وأهم من الأحكام الفردية فما حكم الشريعة بهذه المسالة الاجتماعية بل هي أوضح الحوادث الواقعة كما في مكاتبة إسحاق ابن يعقوب: (وأما الحوادث الواقعة...) أليست هذه أهم الحوادث الواقعة لأنها تمثل مشكلة بشرية وليست على مستوى مجتمع محدود.

(٢) إلى هنا كانت مقدمة فكرية وندخل الآن إلى الفكر الأصولي.

المهم تحققها بالخارج، حتى أوضح الوجوبات الكفائية فردية كوجوب تغسيل الميت ودفنه هو وجوب اجتماعي وتعود مصلحته للمجتمع كما هو واضح.

الأمر الثالث: إنّ تسميتها بالكفائية (هذه الواجبات) ولّد شعوراً بالاتكالية وعدم المسؤولية الكاملة تجاهه، باعتبار سقوطه عنه إذا قام به غيره، وإنه لا يجب عليه إذا أحتمل إنجاز العمل بمفرده، بينما تسميتها بالاجتماعية يجعل الجميع أمام مسؤولية القيام بها وأدائه...

الأمر الرابع: إنّ هذا المعنى (الوجوب الاجتماعي) موجود في أذهان بعض الأصوليين، ففي كتاب (محاضرات في أصول الفقه مجلد٢ ص٢٠٢) بيان للوجوه التي قيلت في تصوير الوجوب الكفائي وهي أربعة، أحدها يقترب من هذه الفكرة، لكن المصنف لم يأخذ به، فقد قال في تفسير الوجه الثاني: (أن يقال: إنّ التكليف في الواجبات الكفائية متوجه إلى مجموع آحاد المكلفين من حيث المجموع بدعوى أنهّ كما يمكن تعلق تكليف واحد شخصي بالمركب من الأمور الوجودية والعدمية على نحو العموم المجموعي كالصلاة مثلاً إذا كان الغرض المترتب عليه واحداً شخصياً، كذلك يمكن تعلقه بمجموع الأشخاص على نحو العموم المجموعي).

الأمر الخامس: إنّ هذا الفهم لما يسمى بالوجوبات الكفائية يحل لنا معضلة علمية عويصة، أتعب الأصوليون أنفسهم في حلها، وهي: كيف إنّ الوجوب متوجه إلى واحد واقعاً بينما يؤثم الجميع في حالة عدم الامتثال، فعلى ما طرحناه يكون عقاب الجميع على القاعدة، لأنهم قصروا في امتثال أمر متوجه إلى الجميع.

الفريضة المظلومة:

ومن الواجبات الاجتماعية التي ظلمت بتسميتها كفائية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الفريضة مظلومة من الطرفين ظلمها إفتاءً وامتثالاً.

أما ظلمها إفتاءً، فحين عدّوها من الواجبات الكفائية وجعلوا لوجوبها شروطاً قل ما تتوفر وتفتح الباب واسعاً لتركها والتقاعس عنها، كاحتمال التأثير في المقابل فمع عدم الاحتمال لا تجب. و الطرف الآخر كونه عالماً بأن هذا منكر، أما إذا كان جاهلاً أيضاً فلا، وكذلك عدم الخوف من الضرر وغيرها من الشروط مما يمكن أن نجد له وجهاً ودليلاً على صعيد التكاليف الفردية وعلى مستوى التفكير الفردي.

وأما إذا نظرنا إليها على مستوى التكاليف الاجتماعية ومنها هذه الفريضة الإلهية العظيمة فلا يمكن تطبيقها عليها، وإلاّ أدت إلى تضييع الدين، وهو ما وقع فعلاً.

وبسبب هذا التضييع في التشريع جاء التقاعس والظلم في الامتثال والتطبيق، فقلما تجد مسلماً تتحرك غيرته الدينية لمنكر يحصل هنا أو ظلم يقع هناك الإّ بمقدار ما تتأثر به مصالحه الشخصية، فأين نحن من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[1]، وفي رواية أخرى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّه يؤتى بعبد له أعمال صالحة كثيرة مثل الجبال تزفه ملائكة حتى يصل إلى الجليل تبارك وتعالى، فيقول لهم: اضربوا بها وجهه، لا شيء له عندي، لأنه كان لا يغضب لي إذا عُصيت).

قصة المعتصم العباسي:

فهل المعتصم العباسي أكثر غيرةً منّا على دين الله وعلى المسلمين؟ إذ خرج بنفسه على رأس جيش عظيم وكان يمكنه أن يبعث واحداً من قواده إلى بلاد عمورية، وهي بلدة في أرض الروم، لما بلغه أن امرأةً نادت (وامعتصماه)

---

(١) الكافي:٢/١٦٣.

حين أغار على بلدتها بعض الروم، فأدّب الروم وأعاد للإسلام والمسلمين هيبتهم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد:

إن هذه الفريضة شرعت لتكون صمام أمان للمجتمع من الانحراف والفتن ولتحصينه من نخر الأعداء الداخليين الذين ينشرون البدع والضلالات والانحراف في مجتمع المسلمين والذين وقعوا في شراكهم عن جهل وسذاجة. فهي كالجهاد في الأهمية الذي شرع ليحمي بلاد المسلمين من الخارج. فإن الله تبارك وتعالى لما بنى أمة الإسلام وجعل لها ملامح وأُطراً وسُمات وأحكاماً تتميز بها عن غيرها، وهو يعلم بأن هذا البناء يحتاج إلى تشريع يحميه ويُحصنّه، فوضع الجهاد لحماية حدوده الخارجية من الاعتداء، ووضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحمايته من الداخل ضد الآفات والأمراض الاجتماعية التي تفتك ببنيانه وتجعله يتآكل بنفسه.

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجهة للمجتمع:

وهي بذلك من الوظائف الموجهة إلى المجتمع ككل، وليس تكليفاً للأفراد مستقلين ويحاسب الجميع عن أي تقصير يقع.

وإذا أُديت الفريضة كما ينبغي تنعم الجميع ببركتها، وإن لم يؤدها كما ينبغي عانى الجميع من ويلات تركها وإن قام بها بعضهم، وهذا واضح من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، والحوادث التأريخية شاهدة على ذلك؛ فالإمام الحُسين (عليه السلام) وإن أدى هذه الوظيفة أُحسن أداء إلاّ إنه أيضاً ذهب ضحية تضييع المجتمع لها.

اهتمام الكتاب والسنة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقل ما تجد واجباً نال اهتماماً بالكتاب والسنة مثلما نالته هذه الفريضة الغائبة عن التطبيق عند المتدينين فضلاً عن غيرهم، وكيف نشترط احتمال التأثير لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وها هو ذا القرآن يصرح: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(الأعراف:١٦٤-١٦٥).

قصة أصحاب الكهف:

وفي قصة أصحاب الكهف درس لأولئك الذين لا يقولون بالوجوب إلاّ عند احتمال التأثير في المقابل، فإن الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله هدىً حاولوا جهدهم أن يصلحوا قومهم فلم يفلحوا، وكان تيار الشرك والإلحاد قوياً فلم يحتملوا ذلك واعتزلوا قومهم، وأوَوا إلى الكهف، فأماتهم الله (٣٠٩) عاماً، ثم بعثهم ليريهم التغيير الذي حصل في قومهم نتيجة البذرة التي زرعوها هم، وكيف انقلب حالهم إلى الهداية والصلاح وأصبحوا أُمة موحِّدة، وليعطيهم ولنا درساً: أن عليك أن تؤدي واجبك، أما النتائج والآثار فقد لا تجنيها أنت فربما آتت أُكلها بعد هذه السنين الطويلة، أما أنت فجزاءك عند ربك.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الكتاب والسنة:

ولو تصفحت القرآن الكريم لوجدت صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخصائص البارزة للمجتمع المسلم في آيات عديدة: (آل عمران: آية ١٠٤و١١٠، الأعراف: آية ١٥٧، التوبة: آية ٧١ و١١٢، لقمان: آية ١٩، الحج: آية ٤١) وفي المقابل يستنكر الله تبارك وتعالى فعل المتقاعسين عن أداء هذه الفريضة في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾(المائدة:٧٩)، وقوله تعالى:

﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(المائدة:٦٣)، وأنتم الحوزة العلمية أوضح مصاديق الربانيين.

أما لو استقرأنا السنّة الشريفة لوجدنا عجباً تقشعر منه الأبدان وتجعلنا يائسين من النجاة يوم القيامة إلاّ ما رحم ربي. وأحد مصادرها ما جاء في الجزء ١١ من كتاب وسائل الشيعة. فعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء وفريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر)[١].

وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: (أما بعد فإنه هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً)[٢]..

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له. قيل: من هو المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): الذي لا ينهى عن المنكر)[٣]، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (ما تزال أمتي بخير ما أمَروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[٤].

---

(١) الكافي:٥/٥٦.

(٢) الكافي: ٥ /٥٧.

(٣) الكافي:٥/٥٩ .

(٤) المهذب البارع لابن فهد الحلي:٢/٣٢٢.

وعن الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبد الله (عليه السلام) في طريق المدينة، وقال: من ذا؟ أحارثٌ؟ قلت: نعم، قال (عليه السلام): لأُحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم ثم مضى. فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت، قُلت: لقيتني فقلت: لأُحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم؟ فقال (عليه السلام): نعم ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل ما تكرهون وما يُدخل علينا به الأذى أن تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه، وتقولوا له قولاً بليغاً. فقلت له: جُعلت فداك، إذاً لا يُطيعونا ولا يقبلوا منا؟ فقال (عليه السلام): اهجروهم واجتنبوا مجالسهم)[1].

الإمام الحُسين (عليه السلام) يجسد الأطروحة الاجتماعية:

فمن أجل هذه الفريضة الإلهية وتجسيدها عملياً خرج الإمام الحُسين عليه السلام[2]، تاركاً مدينة جده (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أعلن (عليه السلام) ذلك في مناسبات كثيرة، فمن كلماته (عليه السلام): (ألا ترون إنّ الحق لا يُعمل به وإن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فأني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً، إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون)[3].

وورد في وصيته (عليه السلام) التي كتبها لمحمد بن الحنفية بعد أن عزم على الخروج من المدينة إلى مكة: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسدا ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسيرَ بسيرة جدي محمد (صلى

---

(١) روضة الكافي: ص١٤٣.

(٢) الذي نحتفل اليوم بذكرى مولده المبارك.

(٣) تحف العقول: ص١٧٦.

الله عليه وآله وسلم) وأبي عليٍّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليٍّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[1].

وقد مارس الحُسين (عليه السلام) هذه الفريضة بأوسع وأعلى أشكالها، فقد بعث برسالة إلى معاوية بن أبي سفيان جواباً على رسالة بعثها إليه يتوعده ويحذره، فأجابه (عليه السلام): (ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لوم لائم، ثم قتلتهم ظُلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لم تأخذهم بحد كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافاً بعهده، أولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وأخضرّ لونه، فقتلته بعدما آمنته وأعطيته العهود والمواثيق.

أولست المدعي زياد بن سُمية المولود على فراش عُبيد بن ثقيف، فزعمت إنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعمداً، واتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم على دين عَلي (عليه السلام)، فكتبت إليه أن أقتل كل من كان على دين عَلي، فقتلهم ومثّل فيهم بأمرك، ودين علي (عليه السلام) هو دين ابن عمه محمد رسول الله

---

(١) مقتل الحسين: السيد بحر العلوم، ص١٧٠. عن مناقب أبن شهر آشوب.

(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك لترجعا عن ضلالكما، وبهذا الدين جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف)[1].

أسأل الله تعالى أن يحينا حياة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يحشرنا في مراتبهم ويُرينا شفاعتهم ببركة هذا المولود بهذا اليوم، والحمد لله رب العالمين، وصلىّ الله على محمد وآله الطاهرين.

(١)الاحتجاج للطبرسي: ٢ / ٢٠. ومصادر أخرى كثيرة.

عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (عليهم السلام)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شر نفسي إنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء إلاّ ما رحم ربي، وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي، واحترز به من كلّ جبّار فاجر وسلطان جائر وعدوٍ قاهر، اللهم أصلح لي ديني فإنّه عصمة أمري، وأصلح لي آخرتي فإنّها دار مقري، وإليها من مجاورة اللئام مفرّي، واجعل الحياة زيادةً لي في كلّ خير، والوفاة راحة لي من كل شر. اللهم صلّ على محمدٍ خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

الإمام (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم:

للإمام المهدي (عليه السلام) شكاوى[2] عديدة من شيعته، جعلها (عليه السلام) هي المانعة عن التشرف بلقائه ونيل بركات ظهوره، ولا يعني شكواه من شيعته عدم وجود شكوى من غيرهم، بل الخطبُ عند أولئك أفضع، ولكنّه باعتبار المسؤولية الخاصة عن شيعته وأحاطتهم برعاية إضافية باعتبارهم الشريحة المؤمنة بإمامته (عليه السلام) والموالية له والمبادرة إلى نصرته، كالأب

---

(١) محاضرة ألقيت في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية والزوار الذين وفدوا إلى النجف الأشرف بتأريخ ١٣/رجب/١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٢٠م بمناسبة ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهي المحاضرة الأطول حيث استغرقت ساعة و(٢٦) دقيقة.

(٢) عرض سماحة الشيخ (دام ظله) عدة منها في محاضرات عديدة ثم جمعت في كتاب بعنوان (شكوى الإمام (عليه السلام)).

الذي إذا أساء ولده يزجره ويوبخه، وربما يعاقبه، بينما لا يهتم بنفس الدرجة فيما لو أخطأ الغريب عنه، وما ذلك إلاّ لشعوره الخاص بالمسؤولية عن تربية ولده، وهكذا الإمام (عليه السلام) يحيط شيعته بتربية خاصة وعناية إضافية، وانطلاقاً من هذه المسؤولية ينبّههم إلى ما في سيرة بعضهم من أخطاء وانحرافات، فإنه (عليه السلام) يستعرض أعمالنا كل يوم أو كل أسبوع، فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة:١٠٥)؟ قال: هم الأئمة[١]، وفي بعض الروايات: إن أعمال العباد تعرض على نبيّكم كل عشية خميس وعلى الأئمة (عليهم السلام)، فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح، فلا تسوؤا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسرّوه[٢]، وقال أحدهم للإمام الرضا (عليه السلام): إن قوماً من مواليك سألوني أن تدعو الله لهم، فقال (عليه السلام): (والله إني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم)[٣]، والإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام الفعلي لهذا العصر فتعرض عليه جميع أعمالنا.

الإمام (عليه السلام) يشكو ابتعادنا عن الصفات الحقيقية التي كان عليها السلف الصالح:

وأول هذه الشكاوى ما يناسب عرضها اليوم في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو يوم فرح وسرور ليس للشيعة فقط، بل لكل المسلمين، بل لكلّ الإنسانية التي تنشد العدالة والسمو والطهارة المتمثلة بعلي

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ١٦٥/٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٢١٣٤/٣.

(٣) بحار الأنوار:٣٤٨/٢٣.

(عليه السلام)، ولكن الشيعة أولى الناس به (عليه السلام)، فنرفع نيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) هذه الشكوى التي ذكرها في رسالته الشريفة إلى الشيخ المفيد (قدس سره) الأولى والثانية.

فقال في الرسالة الثانية: (ولو أن أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل)[1] وقال (عليه السلام) في رسالته الأولى: (فأنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يُعزبُ عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكُم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمـون)[2]. وقد تحقق مثل ذلك لبائع الأقفال[3].

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ٣٢٥.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٣٢٣.

(٣) خلاصة هذه القصة: (أن عابداً كان يتمنى لقاء إمام الزمان (عليه السلام) وبعد فترة من الرياضات الروحية والتعب والمشقة لم يصل إلى شيء واخذ اليأس يدب إلى قلبه، وفي ليلة من الليالي بينما كان قائما يتعبد إذا بهاتف يناديه: (الوصول إلى المولى يعني شد الرحال إلى ديار الحبيب) فشدَّ الرحال من جديد واخذ يزيد من الصلاة والتعبد حتى انتهى الأمر به إلى المكوث في المسجد أربعين يوماً فأتاه نداء آخر يقول: (إنّ سيدك تجده في سوق الحدادين يجلس في باب رجل عجوز يصنع الأقفال) فذهب مسرعا فوجد الإمام (عليه السلام) يشع نوراً فارتعدت فرائص العابد إلاّ أنّ الإمام (عليه السلام) طلب منه أن ينظر ما سيحصل، فجاءت عجوز منحنية الظهر بيدها قفل عاطل وقالت للبائع: أرجوك اشترِ هذا القفل بثلاثة دنانير فقال البائع: إن هذا القفل بثمانية دنانير وإذا أصلحته (يصبح بعشرة فتصورت العجوز إنهّ يسخر منها إلاّ أنه بادر بإعطائها سبعة دنانير وقال لها: لاني أبيع)==

فما هي صفات الشيعي الحقيقي التي يشكو الإمام (عليه السلام) من ابتعادنا عنها ويجعل هذا الابتعاد سبب حرماننا من ألطاف اللقاء به وبركات ظهوره (عليه السلام)؟ هذه الصفات التي استحق بها الشيعي ما سنسمع من الأحاديث في فضله وعلو منزلته عند الله تعالى، وما مدى مصداقيتنا لهذا العنوان العظيم؟

الظاهر إنهم قليلون أولئك الذين ينطبق عليهم العنوان كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾(الواقعة:١٠-١٤)، ولكن لا تضجروا ولا تقنطوا؛ فإن الكمال يُنال بالتدريج، فعندما نزل قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(آل عمران:١٠٢) قعد الصحابة يبكون وأصيبوا بالإحباط؛ فمن الذي يستطيع أن يتقي الله حق تُقاته؟ فكان جوابهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(التغابن:١٦)، فإذا اتقيتم وعملتم بما تستطيعون تأهلّتم للدرجة الأعلى، فتتقون ما تستطيعون وفق هذه الدرجة الجديدة فتتأهلون للأعلى، وهكذا حتى تبلغوا حق تقاته.

الخطاب ليس للشيعة فقط:

وحينما نذكر صفات الشيعي الحقيقي فإنما نخاطب بهذا الكلام جميع الناس: الشيعة والمسلمين من غير الشيعة وغير المسلمين، فهذه فئات ثلاث يترتب على مخاطبتها ثلاثة أغراض:

==واشتري أخذته بسبعة دنانير لأربح ديناراً فذهبت العجوز مسرورة فالتفت الإمام (عليه السلام) إلى العابد وقال: (كونوا هكذا كهذا العجوز كي نأتيكم نحن بأنفسنا لا حاجة إلى التعبد أربعين يوماً ولا فائدة من الجفر والحروف فقط أصلحوا أعمالكم).

أما الشيعة فلكي يراقبوا أنفسهم، ويعرضوا أعمالهم على هذا الميزان الدقيق، وليحكموا على أنفسهم: هل أنهم شيعة حقاً يستحقون تلك المقامات العالية والدرجات الرفيعة أم لا؟.

وأما المسلمين من غير الشيعة فلكي يعرفوا من هم الشيعة، وليحكموا حينئذٍ: هل يحلّ خلافهم وسبّهم والقطيعة معهم وربما الحكم بكفرهم ومنابذتهم؟.

وأما غير المسلمين فلأنهم بدؤوا صراعاً حضارياً مع المسلمين جعلوا أهم أدواته تشويه صورة المسلمين، فكان من أهم وظائفنا في هذا الصراع بيان مقومات وعناصر شخصية المسلم التي بيّنها بوضوح أهل البيت (عليهم السلام) وجسّدوها عملياً في حياتهم، وكان على رأسهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

لذلك كان التشيع روح الإسلام وجوهره بحسب ما بيّنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما ستسمعه بعد قليل بإذن الله تعالى، وفهمه كبار الصحابة كسلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وذي الشهادتين وابن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وغيرهم، حتى استشهد الكثير منهم من أجله.

ما ورد في فضل شيعة علي (عليه السلام):

وقبل الإجابة عن السؤال: (ما هي صفات الشيعي؟) يحسن أن نذكر بعض ما ورد في فضل شيعة علي (عليه السلام) وعلو مقامهم في كتب الفريقين.

فقد نُقل في الدر المنثور للسيوطي في تفسير قوله تعالى في نهاية سورة البينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(البينة:٧-٨): عن أبي هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرؤا إن شئتم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

وعن جابر بن عبد الله قال: (كنّا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل علي (عليه السلام)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أقبل علي (عليه السلام) قالوا: جاء خير البرية[1].

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): هم أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مُقمحين)[2]، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر وغيره: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (أما ترضى أنّك معي في الجنة والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن إيماننا وعن شمائلنا)[3].

وإذا أردنا معرفة صفات الشيعي فإنهّ يجب علينا أن نذكر كل ما أراد الله تعالى وأحبّ من فضائل ونبذ كل ما كره من رذائل، فلا يمكن اختصاره

---

(١) زبدة الأفكار: ص٢٠٩ ـ ٢١٠. عن الدر المنثور ٨: ٥٨٨ ـ ٥٨٩ تذكرة الخواص: ١٨ وقال أوردها الطبري في تفسيره والآلوسي والشوكاني في فتح القدير والمناوي في كنوز الحقائق والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.

(٢) بنور فاطمة اهتديت: ص٤٩، عن الصواعق المحرقة الباب (١١) الفصل الأول الآية الحادية عشر.

(٣) زبدة الأفكار: ص٢١١ عن الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٦١.

بمحاضرة واحدة، ولكني سأحيل على بعض المصادر ككتاب (صفات الشيعة)، و(ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) للشيخ الصدوق والجزء الحادي عشر من كتاب وسائل الشيعة تحت أبواب (جهاد النفس) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والجزء الثامن من الوسائل تحت عنوان (آداب العشرة) وكتاب (تحف العقول).

ويكفي أن تقرأ خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المتقين لتعرف منها أوصاف شيعة علي (عليه السلام)، وغيرها كثير، وتوجد رسالة مهمة ـ رغم أن الكثير غافل عنها ـ وطويلة وجهّها الإمام الصادق (عليه السلام) إلى شيعته وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها[1]، فكانوا ـ السلف الصالح ـ يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

هكذا كان السلف الصالح يراقب نفسه ويزن أعماله في ضوء المنهج الذي رسمه لهم أهل البيت (عليهم السلام) وتجد الرسالة بطولها في كتاب روضة الكافي للكليني ص٣٢٥ ـ ٣٣٦.

محاور صفات المؤمن:

ويمكن باستقراء المصادر أن نصنّف الصفات ضمن ثلاثة محاور:

الأول: مع الله تبارك وتعالى.

الثاني: مع نفسه.

الثالث: مع الآخرين.

---

(١) فلنسأل أنفسنا نحن النخبة المؤمنة أولاً كم منا تدارس هذه الرسالة وتعاهدها وعمل بها؟ أعتقد أن الجواب هو إن القلة القليلة منا قد عمل بها! فكيف إذن نقود المجتمع على طريق الإمام الصادق (عليه السلام) ونحن لم نعمل: (شيعتنا من عمل عملنا).

والتصنيف من ناحية فنية فقط، وإلاّ فإن المؤمن الحقيقي ينظّم كلّ علاقاته وتصرفاته وفق ما يريده الله تبارك وتعالى فهو مع الله في كلّ شيء[١].

المحور الأول: مع الله تبارك وتعالى

معرفة الله تعالى أساس الدين:

١ ـ المعرفة بالله تبارك وتعالى: وهي أساس الدين وأصله[٢]، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أوّل الدين معرفته)، ويمكن أن يكون منشأها عقلي مستفاد من البراهين[٣]، وهذه لابدّ منها ولو ببراهين مبسطة تخاطب الفطرة[٤]، لأنّ العقائد يجب أن تؤخذ عن دليل ويمكن أن تكون قلبية بالوجدان، والثانية خيرٌ من الأولى، كما في الحديث: (المعرفة الأنفسية خير من المعرفة الآفاقية)[٥] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ﴾(فصلت:٥٣).

---

(١) فالمؤمن الحقيقي مع نفسه يلاحظ الله ومع الآخرين يلاحظ الله تعالى ويعيش مع الله تعالى دائما ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

(٢) وهي الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجل السير نحوها فقد سُئِل الإمام الحسين (عليه السلام) كما في مضمون الرواية عن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. (الذاريات: ٥٦). فقال (عليه السلام): يعني إلا ليعرفونِ.

(٣) الموجودة في كتب العقائد والكلام.

(٤) فمثلا الدليل على التوحيد قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

(٥) روي عن أهل البيت (عليهم السلام): (من عرف نفسه عرف ربه)، (معرفة النفس أنفع المعارف)، (من جهل نفسه كان بغير نفسه أجهل)، (أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه)، (أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه).

وخير مصدر للمعرفة القلبية: التدبر، والتفكر في القرآن الكريم، والأدعية، والأحاديث الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) خصوصاً دعاء الصباح ودعاء كميل ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) ـ يوم عرفة ـ ودعاء أبي حمزة الثمالي ومناجاة العارفين، بل عموم المناجاة الخمس عشرة للإمام السجاد (عليه السلام)، وتكون الفائدة أكمل إذا انضمّ إليها بعض أفكار وشروح العلماء المخلصين.

فضل معرفة الله تعالى:

وفي فضل معرفة الله تعالى[1] قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما منح الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في

---

(١) عن أبى جَعْفَر (عليه السلام): (إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلالا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ قَالَ:تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَصْدِيقُ رَسُولِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَمُوَالاةُ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَالإِئْتِمَامُ بِهِ وَبِأَئِمَّةِ الْهُدَى (عليهم السلام) وَالْبَرَاءَةُ إِلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) الكافي، (جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ما رأس العلم قال: معرفة الله حق معرفته قال وما حق معرفته قال أن تعرفه بلا مثال و لا شبه و تعرفه إلها واحدا خالقا قادرا أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا لا كفو له و لا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته) بحار الأنوار، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (خرج الحسين بن علي (عليه السلام) على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته). بحار الأنوار:١٤/٣.

روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله عز وجل آنَس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كل سقم). ثم قال (عليه السلام): (وقد كان قبلكم قوم يُقتلون، ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير، وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذى بل ما نقموا منه إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم).

قبول الأعمال مقرون بولاية أهل البيت (عليهم السلام):

٢ ـ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ومحبتهم ومعرفة حقهم حيث جعل الله تبارك وتعالى مودتهم وولايتهم أجر الرسالة: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[1]، فبهم تقبل الأعمال؛ لأنهم واسطة الفيض والعطاء الإلهي.

وإن لم تستوعب ذلك[2] وقلتَ إن عطاء الله لا يحتاج إلى واسطة فقسه على التشريع، فإنهم واسطة لتبليغ الأحكام إلى المخلوقين، والله قادر على أن يوصل تشريعاته بلا واسطة، فالأمر في العطاء التكويني كذلك، وللتعرف على حقيقة أهل البيت (عليهم السلام) ومنزلتهم الرفيعة اقرأ بتدبر الزيارة الجامعة

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) وكيف نستكثر ذلك على أهل البيت ويوجد من هو أقل مرتبة منهم له عطاء تكويني كعزرائيل (عليه السلام) حيث يروى أن الدنيا كالدرهم بيده يقلبه كيف يشاء وأنه ينظر في وجه كل إنسان في اليوم خمس مرات بعدد الصلوات اليومية، وكذلك عيسى (عليه السلام) حيث أعطاه الله تعالى إحياء الموتى وخلق الطير وغيرها.

الكبيرة المروية عن الإمام الهادي (عليه السلام)، وهي من أقوى الزيارات متناً وسنداً[١].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أحبنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة، ثم قال (عليه السلام): والله لو أنّ رجلاً صام النهار وقام الليل ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت لَلَقِيه وهو عنه غير راض أو ساخط عليه)[٢]، وقال الصادق (عليه السلام): (إن أمير المؤمنين(عليه السلام) كان يقول: لا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك منيّته بالتوبة، وأنى له بالتوبة؟ فوالله أن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عزّ وجلّ منه عملاً إلاّ بولايتنا أهل البيت)[٣].

ولا أحتاج أن أذكّر أن المحبة العاطفية[٤] وحدها لا تكفي، بل لا بدّ من المحبة الحقيقية التي تستلزم التأسي والاتباع والطاعة، كما أنشد الإمام الصادق (عليه السلام):

تعصي الإله وأنت تظهـر حبه هذا محـال في الفعال بديع
لو كانَ حبُّك صادقاً لأطعته إن المحب لمـن أحبّ مطيع

وقال (عليه السلام): (والله ما أنا إمام إلا من أطاعني، فأما من عصاني فلستُ لهم إماماً، فو الله لا يجمعني الله وإياهم في دار)[١].

---

(١) وقد أوصى بها الإمام الحجة (عليه السلام) ثلاث مرات للرجل الذي ضل الطريق في الحج وفيها إشارات واضحة عن الولاية التكوينية كما في المقطع (بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِه وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ).

(٢) الكافي، الروضة: ٨/٩٢.

(٣) المصدر السابق: ص١١١.

(٤) فاللطم في وفيات المعصومين والمواليد في ولاداتهم (عليهم السلام) لا يكفي وحده ونحن نخالف أعمالهم.

الإيمان لا يكون إلا بعقيدة وعمل:

٣ ـ الإيمان بالعقائد الحقة: والتي جمعها القرآن تحت عنوان ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة:٣) ومدح أصحابها وأثنى عليهم، فيؤمن بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وأن الموت حق ومسائلة القبر حق والبعث والنشور والحساب كله حق، وهذا الإيمان سيحفزه على العمل الصالح ويدفعه له: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(فاطر:١٠)، إذ من غير المعقول أن يؤمن الإنسان بذلك كله ولا يعمل له، فالذي يعلم بل يظن أن خطراً في جهة ما فإنه يحترز منه ويتخذ التدابير اللازمة للنجاة منه، وإلا فلا معنى لإيمانه وعلمه، لذا جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل، والعمل منه)[٢] والإيمان بالغيب من الفروق الأساسية بيننا وبين الغرب؛ فهم يؤمنون بالحسيّات ويسعون لتحقيق لذائذهم الحسيّة، فنشأ بسبب ذلك الاستئثار والاستكبار والظلم والحرص والحسد والطمع وغيرها من الرذائل التي انعكست على علاقتهم مع غيرهم من الشعوب.

حديث جامع لكل العقائد:

ومن الأحاديث التي جمعت العقائد الحديث المعروف عن السيد عبد العظيم الحسني قال: (دخلتُ على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق (عليه السلام) فلما أبصرني قال لي: (مرحباً بك يا أبا القاسم، أنت وليُّنا حقاً). قال: فقلت: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل، فقال: هات يا أبا القاسم، فذكر عقيدته في توحيد الله تعالى ونفي الصفات عنه ونبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنه خاتم الأنبياء

---

(١) الكافي، الروضة: ٣٧٤/٨..

(٢) بحار الأنوار:٢٣/٦٦.

وشريعته خاتمة الشرائع، ثم ذكر الأئمة (عليهم السلام) واحداً بعد واحد حتى وصل إلى الإمام الهادي (عليه السلام) فقال: ثم أنت يا مولاي، فقال (عليه السلام): ومن بعدي الحسن ابني، وكيف الناس بالخلف من بعده؟. فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال (عليه السلام): (لأنه لا يرى شخصه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، قال: فقلت: أقررت، وأقول: إنّ وليهم ولي الله وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعراج حق والمساءلة في القبر حق وإنّ الجنة والنار حق والصراط حق والميزان حق وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها وإنّ الله يبعث من في القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحقوق الوالدين، فقلت: هذا ديني ومذهبي وعقيدتي ويقيني قد أخبرتك به، فقال علي بن محمد (عليه السلام): يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[1].

٤ ـ أداء الواجبات الشرعية: كالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج مع الاستطاعة، فعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: (شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرؤون من أعدائهم)[2]، وعن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): (يا جابر يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون إلا بالتواضع والتخشّع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن

---

(١) صفات الشيعة: ح٦٨.

(٢) المصدر السابق: ح٥.

وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء[١]، قال جابر: يا ابن رسول الله، ما نعرف أحداً بهذه الصفة، فقال لي: يا جابر، لا تذهبّن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه، فلو قال: إني أحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، يا جابر، ما يتقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة، ما معنا براءة من النار[٢]، ولا على الله لأحدٍ منكم حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تُنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع)[٣].

ولما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة قام على الصفا فقال: (يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب، إني رسول الله إليكم، وإني شفيق عليكم، لا تقولوا إنّ محمداً منا، فو الله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلاّ المتقون)[٤]، وهو أدب قرآني، فعندما طلب نوح (عليه السلام) نجاة ابنه أتاه الجواب: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(هود:٤٦)، وقال إبراهيم (عليه السلام): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾(إبراهيم:٣٦).

---

(١) تأمل وتدبر جيدا بقول الإمام (عليه السلام) فلعمري إن كل فقرة من هذه الفقرات تحتاج إلى عمل كثير فلا يكفي أن تقرأها فقط.

(٢) كما هو موجود عند بعض الأديان حيث يعطون قومهم صكوك الغفران بالرغم من أعمالهم السيئة.

(٣) صفات الشيعة: ح٢٢.

(٤) المصدر السابق: ح٨.

٥ ـ اجتناب المحرمات[١] والذنوب، سواء كانت من الكبائر وهي التي وعد الله عليها النار كالزنا واللواط وشرب الخمر وأكل مال اليتيم وشهادة الزور وأكل الربا وقتل النفس المحترمة[٢] أو البخس في المكيال[٣]، وحتى الصغائر، وإن كان الوارد في الحديث الشريف: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت)، فعن الصادق (عليه السلام): (من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان[٤])[٥].

---

(١) روي أنه: (روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل كبيرة فإذا عمل بكبيرة فارق الروح).

(٢) كما يحصل عند بعض العشائر فإنهم يتقاتلون وتذهب نفوس محترمة من اجل أسباب تافهة.

(٣) كما يتفنن البعض اليوم بالبخس في الميزان بطرق عديدة كوضع المغناطيس في إحدى الكفتين أو حفر جوف العيار أو اللعب بإحدى العتلتين وغيرها ولا يعلمون أن هذا من الكبائر التي وعد الله تعالى عليها في كتابه العزيز أقصى العقاب فلماذا تلقون بأنفسكم في هذه المهالك من اجل بضعة دنانير والتي لو اتقيتم الله تعالى لرزقكم أضعافها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق: ٢ ـ ٣).

(٤) كما يحدث ذلك وللأسف الشديد من قبل بعض شبابنا وتجده يتباهى بذلك ولا يعلم أنه بعمله هذا قد خرج من الإيمان وأُلحِقَ بالأعراب ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(الحجرات: ١٤).

(٥) بحار الأنوار: ١٩٧/٦٦.

ومن الكبائر قذف المحصنة[١] وعقوق الوالدين والتعّرب بعد الهجرة[٢] ومعونة الظالمين وحبس الحقوق من غير عسر والسحر واليمين الغموس، بل ورد التحذير من كل الذنوب، فعن الباقر (عليه السلام): (الذنوب كلها شديدة)[٣]، ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك[٤])[٥].

ويضرب لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثالاً من الواقع، فقد نزل (صلى الله عليه وآله وسلم) بأرض قرعاء فقال لأصحابه: (ايتوا بحطب. فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): فليأتِ كل إنسان بما قدر عليه. فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا

---

(١) وعشائرنا أيضاً مبتلية بهذه الكبيرة فببساطة شديدة يقذفون المحصنة ويقتلونها غسلاً للعار ولا يعلمون إنّ القذف وحده يعاقب عليه الشرع بالجلد ثمانين سوطاً وهو من الكبائر ولا يحقّ لأحد ذلك إلاّ بعد حضور أربعة شهود فاتقوا الله ولا تسخطوه.

(٢) كما يحدث اليوم فبمجرد ما يحصل الشاب على فرصة للسفر غادر بلده المسلمة إلى أي بلد كافر يضيع فيه دينه، ولا يعلم أنّ هذا من مصاديق التعرب بعد الهجرة أي يصبح أعرابياً فالأعراب ليس الذين يسكنون البدو وإنما غير المتفقه في دين الله.

(٣) الكافي:٢/٢٧٠.

(٤) أي أن ذنوبي هينة ولا تساوي شيئاً أو يقارن نفسه بالذي اقترف ذنوباً أكبر من ذنوبه فيقول: (مهما فعلت فأنا لست كفلان) وهذا المسكين قد خدعه الشيطان بهذا العذر الذي سيعاقب عليه أقسى عقاب لاستهانته بالذنب المقترَف بحق الله مالك الملك الجبار المتعال!!!.

(٥) الكافي:٢/٢٨٧.

تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب؛ فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)[١].

ويحذرّون شيعتهم إن كل ما يحصل لهم من مصائب هو بسبب الذنوب، فعن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (يا مفضّل، إياك والذنوب وحذّرها شيعتنا، فو الله ما هي إلى أحد أسرع منها إليكم، إن أحدكم لتصيبه المعرّة من السلطان وما ذلك إلاّ بذنوبه، وإنه ليصيبه السقم وما ذلك إلا بذنوبه، وإنه ليُحبس عنه الرزق وما هو إلاّ بذنوبه، وإنهّ ليُشدّد عليه عند الموت وما ذاك إلاّ بذنوبه حتى يقول من حضره: لقد غم بالموت. فلما رأى ما قد دخلني[٢] قال: أتدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: ذاك والله إنكم لا تؤاخذون بها في الآخرة وعُجّلت لكم في الدنيا[٣])، فمن أراد أن يقي نفسه هذه الصعوبات فليجتنب الذنوب.

٦ ـ التقوى والورع: أحد وجوه التفريق بينها ما قاله سيدنا الأستاذ (قدس سره): إن الورع اجتناب المحارم وفعل الواجبات، أمّا التقوى فتضاف لها اجتناب الشبهات وعدم ترك المستحبات[٤]، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي)[٥]، وفي وصيّة للإمام الصادق (عليه السلام) لأحد أصحابه: (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم إنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)[٦]، ووعظ (عليه

---

(١) الكافي:٢/٢٨٨.

(٢) أي لماذا تسرع الذنوب إلى الموالين للأئمة والمفروض إنهم أقرب إلى الله تعالى من غيرهم.

(٣) بحار الأنوار:٦/١٥٧.

(٤) عدم ترك المستحبات كلياً وليس بعضها فقد يترك بعضها أحياناً.

(٥) بحار الأنوار:٦٥/١٦٦.

(٦) بحار الأنوار:٦٧/٢٩٦.

السلام) شيعته فقال: (عليكم بالورع؛ فإنه لا يُنال ما عند الله إلا بالورع)، (ليس منّا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أورع منه)، وقوله (عليه السلام): (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية)[1]، وأيضاً: (عليكم بالورع؛ فإنه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالى به ونريده ممن يوالينا)[2].

وفي التقوى كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: (لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبّل؟!) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من أخرجه الله عزّ وجلّ من ذلّ المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزّه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء[3]، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه

---

(١) ولتقريب هذه الفكرة إلى الذهن تصور أنّ رجلاً عالماً معروفاً بالصلاح والتقوى قد مرَّ من أمامك ولم يتكلم معك بحرف ألا تذكرك رؤيته بالله تعالى ويخفق قلبك له؟ فهذا الرجل إذن داعية لله تعالى ولكن بغير لسانه وهكذا أرادنا المعصومون (عليهم السلام).

(٢) بحار الأنوار:٣٠٦/٦٧.

(٣) عندما تأملت كثيراً في هذه المعاني العظيمة حاولت أن أفهمها من خلال ربطها بصفات الله تعالى فكلّما اقترب الإنسان من الله تعالى تخلق بأخلاقه وصفاته كما في مضمون الرواية: (تخلقوا بأخلاق الله) فالله تعالى العزيز وهو يهب العزة لمن يشاء إن قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (فاطر: ١٠). ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨). والله تعالى القوي ويهب القوة لمن يشاء وهكذا تستطيع فهم المعاني الأخرى (وكذلك تستطيع أن تربط ذلك بأهل البيت عليهم السلام فهم الأسماء الحسنى).

باليسير من العمل)[١]، ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة في وصف المتقين صعق من سماعها صاحبه الوفي همّام فمات من ساعته[٢].

٧ ـ الموازنة بين الخوف والرجاء: عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: (كان أبي (عليه السلام) يقول: ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وُزِن هذا لم يزد على هذا، ولو وزِن هذا لم يزِد على هذا)[٣]. ويقول (عليه السلام): (كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: يا بني خف الله خوفاً لو جئته ببرّ الثقلين خفتَ أن يعذّبك الله، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين رجوتَ أن يغفر الله لك[٤])[٥]، ويقول بعض شيعته قلت له: قومٌ يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجحون[٦] في الأماني، كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه[٧]، وقال (عليه السلام) عنهم: ليسوا لنا بموالٍ)[٨]، وهو (عليه السلام) به يستقي ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، باب٢٠، ح٥.

(٢) راجع نهج البلاغة: ص٣٠٣، لصبحي الصالح.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، باب ١٣، ح١ وح٤.

(٤) المصدر السابق: ح٦.

(٥) نقل الإمام (عليه السلام) كلام لقمان لتوضيح الموازنة بين الخيفة والرجاء وهي معادلة دقيقة حيث لا ينبغي للخوف أن يزيد بحيث لا رجاء لرحمة الله بعده وهو المسمى بالقنوط الذي هو من الكبائر كما يقول البعض ان ذنوبي كثيرة ولا يغفرها الله لي.

(٦) رجح الميزان: يرجح رجحاناً أي مال، وترجحت الأرجوحة بالغلام أي مالت، الصحاح: ١ / ٣٦٤، مادة (رجح).

(٧) وسائل الشيعة: نفس الباب، ح٢.

(٨) المصدر السابق: ح٣.

قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(الأعراف: ٥٦)،﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء:٢٨).

٨ - تقديم رضا الله تعالى على هوى النفس ورضا المخلوقين: عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله عز وجل: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلّوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شتّتُ عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم آتِه منها إلا ما قدّرتُ له، وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرضين رزقه، وكنتُ له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة)[١]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله عز وجل كان حامده من الناس ذامّاً، ومن آثر طاعة الله عزّ وجلّ بما يغضب الناس كفاه الله عزّ وجلّ عداوة كل عدو[٢] وحسد كل حاسد، وبغي كل باغٍ وكان الله له ناصراً وظهيراً)[٣].

وصفات أخرى لا يتسع المقام لذكرها كاليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضرّ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإنّ الضار النافع هو الله عز وجل)[٤]،

---

(١) المصدر السابق: باب٣٢، ح٣.

(٢) تأمل جيداً في هذه العبارة وما يشابهها واجعلها دوماً نصب عينيك ومنهاجاً لك في حياتك، فبعد هذا الضمان الإلهي، لا ينبغي للمرء أن تقف بوجهه كل الاعتبارات، بل يؤدي ما فيه رضا الله تعالى ولا تأخذه في الله تعالى لومة لائم.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب الأمر والنهي، باب٧، باب ١١، ح٢.

(٤) وسائل الشيعة: كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، باب، ٧، ح١.

والاعتصام بالله والتوكل على الله وقطع الأمل عن غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(الطلاق:٣)، والبكاء لله تعالى، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله)[1]، ومن صفاتهم حسن الظن بالله تعالى، فإن الله عند حسن ظن عبده.

المحور الثاني: صفاته في نفسه.

١ ـ أن يجعل أهواءه النفسية عدواً له لا يغفل عن مجاهدته؛ للحديث: (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك)، ولا يجعلها إلهاً يطيعه ويسير وفق رغبات نفسه، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:٢٣)، وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سرية فلما رجعوا قال: (مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس)[2].

٢ ـ أن يشتغل بإصلاح عيوب نفسه بدل التفتيش عن عيوب الناس، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث خصال من كُنّ فيه أو واحدة منهنّ كان في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقَدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أنّ ذلك

---

(١) المصدر السابق، باب ١٥، ح٨.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب١، ح١.

لله رضا، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه فإنّه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس)[١].

٣ ــ أن ينصف الناس من نفسه، فيحب لهم ما يحب لها، ويكره لهم ما يكره لها، ويقول الحق ولو على نفسه. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ألا إنّه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً)[٢].

٤ ــ أن لا يتعصّب لنفسه، أو لعشيرته، أو قوميته، أو أي شيء آخر سوى الله تبارك وتعالى. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من تعصّب أو تُعصِبَ له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه)[٣].

٥ ــ أن ينتهز فرص الخير. قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران:١٣٣)، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (يا عليّ، بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك)[٤]، وأن يجعل حياته زيادة في كلّ خير، قال الصادق (عليه السلام): (من استوى يوماه فهو مغبون[٥]، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٣٦، ح١. فإن العمر سينتهي لا محالة وأنت لم تنته من إصلاح عيوب نفسك فلا مجال إذن للاشتغال بعيوب الآخرين.

(٢) المصدر السابق، باب ٢٤، ح٣.

(٣) المصدر السابق: باب ٣٦، ح١.

(٤) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب٩١، ح١.

(٥) لأن الله تعالى لم يخلقنا لحياة لا تكامل فيها، بل خلقنا من أجل أن نتكامل ونرتقي.

يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يرَ الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)[١].

٦ ــ أن يحاسب نفسه. عن موسى الكاظم (عليه السلام)، قال: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب عليه)، وفي وصيّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلالٍ أو من حرام[٢]، يا أبا ذر، من لم يبالِ من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين ادخله النار)[٣].

٧ ــ أن يتحلى بالصدق، ومطابقة قوله لفعله، وسره لعلانيته. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (أبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره[٤])[٥]، وقال (عليه السلام): (ليس من شيعتنا من قال بلسانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتّبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا)[٦]. وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (يا أبا ذر، يطلع قوم من أهل الجنّة إلى قومٍ من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار، وإنّما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم؟!

---

(١) المصدر السابق: باب ٩٥، ح٥.

(٢) البعض ممن وفقه الله تعالى لطاعته أعد لنفسه دفتراً صغيراً يضعه في جيبه يكتب فيه ما أقترفه من ذنوب في النهار، وقبل أن ينام يفتح هذا الدفتر ليحاسب نفسه.

(٣) المصدر السابق: باب ٩٦، ح٧.

(٤) والوصية علينا نحن الحوزويون آكد.

(٥) المصدر السابق: باب ٣٨، ح١.

(٦) المصدر السابق: باب ٢١، ح١٩.

فيقولون: إنّا كنّا نأمركم بالخير ولا نفعله)[١]، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٣).

٨ ـ أن يتصفوا بالصبر. فمن وصية للإمام الصادق (عليه السلام): (اصبروا على الدنيا فإنّما هي ساعة، فإن ما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجئ فلا تدري ما هو، وإنّما هي ساعتك التي أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة الله، واصبر فيها عن معصية الله)[٢]. وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بني، اصبر على الحق وإن كان مراً تُوفّ أجرك بغير حساب)[٣]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل؛ إنّه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدّام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[٤].

٩ ـ يقدّمون الآخرة على الدنيا[٥]. فمن خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا وترك الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ)[٦]، فهم يحقرّون الدنيا لأنهّا تشغل عن الآخرة، قال

---

(١) المصدر السابق: باب ٩، ح١٢.

(٢) المصدر السابق: باب ١٩، ح٥.

(٣) المصدر السابق: ح٨.

(٤) المصدر السابق: باب ٢٥، ح٤.

(٥) لا بد أن نعرف إن الدنيا الممقوتة في الروايات ليست كل دنيا، وإنّما التي يجعلها الإنسان غاية وهدفاً له، أما إذا كانت الدنيا وسيلة وطريقاً للآخرة فلا تكون ممقوتة لأنهّا ستكون رأس مال الإنسان يتاجر فيه مع الله تعالى.

(٦) المصدر السابق: باب ٥٢، ح٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته)[١]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (حبّ الدنيا رأس كل خطيئة)[٢]، وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: (يا علي، إنّ الله أوحى إلى الدنيا: اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك[٣]، يا علي، إنّ الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء، يا علي، ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنّى يوم القيامة أنّه لم يُعطَ من الدنيا إلا قوتاً)[٤]، وشبّه الإمام الباقر (عليه السلام) قائلا: (مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز[٥]؛ كلما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً)[٦]؛ لذلك رغّبوا شيعتهم في الزهد بالدنيا، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)[٧].

١٠ ــ والشيعي لا يكون كلامه بذيئاً ولا فاحشاً ولا لعّاناً أو سبّاباً. فقد بلغ الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ أحد أصحابه قال مثل هذه الكلمات لرجل ظلمه، فقال (عليه السلام): (إنّ هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربّك ولا تعد)[٨]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا

---

(١) المصدر السابق: باب ٦١، ح٥.

(٢) المصدر السابق: ح٤.

(٣) فتجد أن طلاب الدنيا لا يجدون طعم الراحة فكلما ملكوا شيئاً أرادوا الآخر كما في الرواية: (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا) بحار الأنوار:١٨٢/١.

(٤) وسائل الشيعة: باب ٦٣، ح٤.

(٥) قال الشاعر: كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفعُ

(٦) المصدر السابق: باب ٦٤، ح١.

(٧) المصدر السابق: باب ٦٢، ح١.

(٨) المصدر السابق: باب ٧١، ح٧.

رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان)[١]، ولا يبغي الشيعي على أحد؛ ففي وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لأصحابه: (وإيّاكم أن يبغي بعضكم على بعض؛ فإنهّا ليست من خصال الصالحين، فإنّه من بغى صيّر الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بُغي عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله)[٢]، ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً، اعجل الشر عقوبة البغي، وأسرع الخير ثواباً البر).

١١ ـ وإذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم، أو مسّهم طائف من الشيطان تذكروا والتفتوا إلى خطأهم الكبير في حق ربهم الكريم، فتداركوا أمرهم بالتوبة، واستغفروا الله تعالى. ففي حديث: إنّ الله أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطي خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها، قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(البقرة:٢٢٢)، فمن أحبّه الله لم يعذّبه، وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر:٧)، وذكر الآيات، وقوله: ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾(الفرقان:٧٠). ويقول الإمام الباقر (عليه السلام): (إنّ الله تبارك وتعالى أشّد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها)[٣].

---

(١) المصدر السابق: باب ٤٩، ح١٥.

(٢) المصدر السابق: باب ٧٤، ح٦.

(٣) المصدر السابق: باب ٨٦، ح٦.

ويتخوفون الاستدراج والإملاء فقد سُئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن الاستدراج؟ فقال: (هو العبد يذنب الذنب فيُملي له، ويجدّد له عندها النعم فيلهيه عن الاستغفار؛ فهو مستدرج من حيث لا يعلم)[١].

١٢ ـ عفيف البطن عفيف الفرج[٢]. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (والله ما شيعة علي إلا من عفّ بطنه وفرجه وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه)[٣]، وروي أنّ قوماً تبعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) فالتفت إليهم فقال: ما أنتم عليه؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين. قال: مالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة. قالوا: وما سيماء الشيعة؟. قال (عليه السلام): (صفر الوجوه من السهر، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين).

١٣ ـ التفقه في الدين ولا أقل من المسائل الابتلائية كما يسميها الفقهاء. أي تلك التي يتعرض لها كثيراً في عباداته، أو في معاملاته. وسئل أبو الحسن (عليه السلام): هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟ فقال: لا[٤]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم)[٥]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا)[٦]، وخاطب (عليه السلام) أصحابه: (عليكم بالتفقّه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنّه من

---

(١) المصدر السابق: باب ٩٠، ح٤.

(٢) أي لا يدخل بطنه إلا الطعام الحلال ويحفظ فرجه إلا فيما أحل الله تعالى له.

(٣) صفات الشيعة: ٧، ح١٢.

(٤) أصول الكافي: كتاب فضل العلم، الباب١، ح٣.

(٥) المصدر السابق: ح٥.

(٦) المصدر السابق: ح٦.

لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً)[١]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لبشير الدهان: (لا خير فيمن لا يتفقهّ من أصحابنا، يا بشير، إنّ الرجل منهم إذا لم يستغنِ بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم)[٢]، ونقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انزعاجه ممن لا يتفقه في دينه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أُفٍّ لرجل لا يفرّغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه)[٣].

وتوجد صفات كثيرة أخرى وردت في النصوص، ومنها كونه: (ليّناً قوله، غائباً منكره، قريباً معروفه، صادقاً قوله، حسناً فعلُه، مقبلاً خيره، مدبراً شرّه، فهو في الهزاهر وقور، وفي المكروه صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم على من لا يحب، لا يدّعي ما ليس له، ولا يجحد حقّاً هو عليه، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه، ولا يضيّع ما استُحفظ، ولا ينابز بالألقاب، ولا يبغي على أحد، ولا يهمّ بالحسد، ولا يضرّ بالجار، ولا يشمت بالمصائب)[٤].

المحور الثالث: العلاقة مع الآخرين:

١ ـ يصنع المعروف إلى كلّ أحد. فقد أوصى الإمام السجاد (عليه السلام) ولده الباقر (عليه السلام): (يا بني، افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل

---

(١) المصدر السابق: ح٧.

(٢) المصدر السابق: باب ٢، ح٦.

(٣) المصدر السابق: باب ٩، ح٦.

(٤) صفات الشيعة: ح٣٥.

عذره)[١]، وأصله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(المؤمنون:٩٦).

٢ ــ ويتجنبون الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق. فأمير المؤمنين (عليه السلام) يعلم أنّ قاتله عبد الرحمن بن ملجم يريد به الشر، فقيل له: لِمَ لا تقتله أو تسجنه دفعاً لشره؟ قال (عليه السلام): (لا يجوز القصاص قبل الجناية)، وفي المقابل ترى الولايات المتحدة نموذج الغرب المتحضر تتوعد البشرية بالدمار والويل والثبور تحت عنوان (الضربات الوقائية والاستباقية) دفعاً للأخطار المحتملة، فأين هم من أدب الإسلام وأهل البيت (عليه السلام)؟!.

وقد حذّر الأئمة (عليه السلام) بشدة من الظلم مهما كان بسيطاً، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة)، وفي حديث للإمام السجاد (عليه السلام): (ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم)[٢]، وعدّ حديث للإمام الباقر (عليه السلام) ظلم الناس من الذنوب التي لا يدعها الله تبارك وتعالى: لذا فهم يأمرون بردّ المظالم إلى أهلها قبل أن يفاجئهم الموت، وحذّروا من معونة الظالمين. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم)[٣]، ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في هؤلاء: (يا علي، شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، وشرّ منه من باع آخرته بدنيا غيره)[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب٣، ح٣.

(٢) عقاب الأعمال: ص٢٧٢.

(٣) المصدر السابق: باب ٨٠، ح١.

(٤) المصدر السابق: باب ٦٨، ح١١.

٣ ـ يوالون في الله ويعادون في الله. وهو مبدأ قرآني مهم أكّد عليه الله تعالى كثيراً، وإذا ضاع هذا المقياس مُحق الدين. قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(المجادلة:٢٢).

فأين من هذه الحقيقة القرآنية هؤلاء الذين يلهثون وراء الغرب وقوى الاستكبار الذين آخر ما أمروهم به أن يغيروا مناهج التعليم الديني[١] وعلى رأسها القرآن الكريم لأنهّا تشجّع على الإرهاب كما يزعمون، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (كذب من زعم أنّه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا)، ويقول الإمام أبو الحسن الرضا (عليه السلام): (من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله تبارك وتعالى، وحقّ على الله عزّ وجلّ أن يدخله في نار جهنم)[٢]، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أيضاً قال: (إن ممن ينتحل مودتنا أهل البيت لمن هو أشّد لعنة على شيعتنا من الدجال، فقلتُ له: يا ابن رسول الله، بماذا؟ قال: بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك اختلط الحقّ بالباطل واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق)[٣]، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله)[٤].

---

(١) كان هذا أحد أوامر الولايات المتحدة للدول الإسلامية السائرة في ركابها بعد أحداث أيلول/٢٠٠١.

(٢) صفات الشيعة: ١١٢٤.

(٣) صفات الشيعة: ٨، ح١٤.

(٤) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ١٥، ح٣.

٤ ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وهي من أهم صفات خير أمة أخرجت للناس كما نطق القرآن الكريم، روي عن النبي (عليه السلام) أنَّهُ قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[١]، وكتب الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الشيعة: (ليعطفنّ ذوو السنّ منكم والنهى على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة، أو لتصيبنّكم لعنتي أجمعين)[٢]، وأقل مراتبه الإنكار القلبي، فعن الإمام علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده)[٣]، وقال الإمام علي (عليه السلام): (أدنى الإنكار[٤] أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)[٥]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لأصحابه: (إنه قد حقّ لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لا يحقُّ لي ذلك وأنتم يبلّغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يترك)[٦]، وقال

---

(١) المصدر السابق: باب ١، ح١٨.

(٢) المصدر السابق: ح٨.

(٣) المصدر السابق: باب ٥، ح٢.

(٤) ولكن يجب فهم ذلك بشكل صحيح وليس كما يفعله بعض شبابنا سامحهم الله تعالى فإنهم أول ما يبدأون في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون الغلظة والشدة والوجوه المكفهرة، وهذا غير صحيح، بل لا بد أن نبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة ونقابلهم بأخلاق طيبة لكي يتأثروا بنا وبكلامنا وبالتدريج نحاول معهم بطرق الإصلاح المختلفة.

(٥) المصدر السابق: باب٦، ح١.

(٦) المصدر السابق: باب٧، ح٤.

الإمام الصادق (عليه السلام): (لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه، ولا يقدر على تغييره)[١].

٥ ـ الاهتمام بأمور المسلمين في شرق الأرض وغربها. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[٢]، وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (إنّ المؤمن لتردّ عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده، فيهتّم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة)[٣].

٦ ـ أمروهم بالتزاور بينهم وتكثير اللقاءات الهادفة الواعية التي يستغلّونها للتذاكر بأمور مفيدة. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (تزاوروا فإن في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم)[٤]، ويقول (عليه السلام): (أما والله لوددتُ أني معكم في بعض تلك المواطن)[٥].

٧ ـ وأعطى الأئمة أهمية كبرى لقضاء حوائج المؤمنين. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنّة)[٦]، وقال الإمام أبو الحسن (عليه السلام): (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره

---

(١) المصدر السابق: باب٣٨، ح٤.
(٢) المصدر السابق: باب١٨، ح١.
(٣) المصدر السابق: باب ١٨، ح٤.
(٤) المصدر السابق: باب ٢٣، ح٣.
(٥) المصدر السابق: ح٥.
(٦) المصدر السابق: باب ٢٥، ح٤.

إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً)[١] وجعلوا هذه القضيّة أفضل من سائر القربات كالحج والعمرة والاعتكاف والطواف المندوبات، بحيث إن الإمام (عليه السلام) يقطع طوافه بالبيت الحرام ويخرج ليقضي حاجة المؤمن، ويهددّون شيعتهم إن قصروا في ذلك أنواع التهديد؛ يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (أيّما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته، فلم يعنه وهو يقدر، إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدة من أعدائنا، يعذبّه الله عليها يوم القيامة)[٢] وهي حالة مجرّبة.

٨ ـ ومن الحوائج التي اهتموا بها مساعدة الفقراء وإقراض المحتاجين وإنظار المعسرين. فعن أبي بصير قال: ذكرنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) الأغنياء من الشيعة فكأنّه كره ما سمع منّها فيهم، فقال: (يا أبا محمد، إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه أعطاه الله أجر ما ينفق من البر مرتين ضعفين، لأنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾(سبأ:٣٧))[٣]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين)[٤].

٩ ـ وأمور أخرى كثيرة؛ كإدخال السرور على المؤمن حيث جعلوه إدخالاً للسرور على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين[٥]، والستر على المؤمن وحفظ كرامته وسمعته، والمنع من تشويه صورته لدى

---

(١) المصدر السابق: ١٦ح٥.

(٢) المصدر السابق:باب ٣٧، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة: باب١، ح١٣.

(٤) المصدر السابق: باب ١١، ح٤.

(٥) مستدرك الوسائل: ٢١ / ٣٩٥، ح٥.

الناس[١]، والنصيحة للمؤمنين وعدم الغش[٢]، والرفق بالمؤمنين وعدم تحميلهم ما لا يطيقون[٣]، واستشعار الرحمة لجميع الناس كما في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر: (وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونّن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلَهم؛ فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبُّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)، فأين أدعياء حقوق الإنسان الذين تتبرأ حتى وحوش الغاب من أفعالهم من هذه التعاليم؟!.

هذا غيض من فيض ممّا أدّب به الأئمة (عليه السلام) شيعتهم وأرادوهم أن يكونوا كذلك، لذلك أحبوهم ومنحوهم المقامات الرفيعة. يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لشيعته: (أما والله إنيّ لأحبُّ ريحكم وأرواحكم)[٤]، ويقول الإمام الرضا (عليه السلام): (شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلّبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله؛ ما من أحدٍ من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا اغتمّ إلا اغتممنا لغمّه، ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنّا أحدٌ من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أو غربها)[٥] وقال شخص: (دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في زمن مروان ــ وهو الملقب بالحمار آخر ملوك بني أمية ــ فقال (عليه السلام): من أنتم؟ فقلنا: من أهل الكوفة؟ فقال: ما من بلدةٍ من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، ولاسيّما هذه العصابة، إنّ الله جلّ ذكره هداكم لأمر جهله الناس، وأحببتمونا وأبغضنا الناس، واتبّعتمونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم الله

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٩٤، ح٢.

(٢) المصدر السابق: ١٧ / ٤٦٦، ح١.

(٣) المصدر السابق: ٢٣ / ٢٣٧، ح٤.

(٤) المصدر السابق: ١ / ٨٨، ح١١.

(٥) صفات الشيعة: ح٥.

مماتنا، فأشهد على أبي إنهّ كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقرّ الله به عينه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه ــ وأهوى بيده إلى حلقه ــ)[1] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (خرجت أنا وأبي حتّى إذا كنّا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة، فسلّم عليهم ثم قال: أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنّا لكم الجنّة بضمان الله عزّ وجلّ وضمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. في حديث طويل لكنّه (عليه السلام) قال: (واعلموا أنّ ولايتنا لا تُنال إلا بالورع والاجتهاد، من ائتمّ منكم بعبدٍ فليعمل بعمله)[2].

اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمتنا مماتهم واحشرنا معهم ولا تفرّق بيننا وبينّهم يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) الكافي، الروضة: ٨/ ٨١، ح٣٨.

(٢) المصدر السابق: ح٢٥٩.

الاهتمام بشروط الظهور أولى من علاماته والتحذير من فتنة الغرب المادي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يستحقه[٢] حمداً كثيراً وصلى الله على النبي وآله وسلّم تسليماً.

علامة الكسوف والخسوف في شهر رمضان:

أخبرت الحسابات الفلكية أنّ خسوفاً يحصل في وسط شهر رمضان، وكسوفاً في آخره، وقد أهتم الناس بهذه الظاهرة الفلكية لما ورد في علامات الظهور مما يشبه ذلك؛ فعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم (عليه السلام) إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره)[٣].

وأنتَ ترى أنّ الظاهرة الفلكية التي أُعلن عنها لا تطابق العلامة التي ذكرتها الروايات من حيث توقيت الخسوف والكسوف، ومع ذلك تشبث بها

---

(١) محاضرة ألقيت في مسجد الرأس الشريف على حشد من الفضلاء والمبلغين وطلبة العلوم الدينية بتأريخ ٩/شوال/١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/٣١ بمناسبة افتتاح الدراسة بعد تعطيل شهر رمضان وعيد الفطر.

(٢) وقد علق سماحة الشيخ (دام ظله) على البدء بهذا المقطع بأنّنا لا نستطيع أن نحمد الله تعالى حقّ حمده، فإن قلنا الحمد لله زنة السماوات والأرض فهو قليل، وإن قلنا الحمد لله بعدد قطرات الماء فهو قليل، وأيّ شيء نقوله فهو قليل بحق الله تعالى فإذاً نقول الحمد لله كما يستحقه وكما هو أهله.

(٣) تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ص٤٧٨. طبعة دار التعارف، ١٤١٢/١٩٩٢.

الناس كعلامة لقرب الظهور باعتبار اشتراك الخبر والظاهرة بحصول الكسوف والخسوف في شهر رمضان وإن اختلفا في موعديهما، مهملين هذا الاختلاف لعدم أهميته في نظرهم، وإنّ المهم اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان، وما علموا أنّ الآية ليست في اجتماعهما في شهر رمضان، وإنما في تأريخ حصولها؛ لأن المعروف أن الخسوف يحصل في منتصف الشهر والكسوف في آخره، وبذلك استشكل رجل على الإمام في الرواية السابقة، فقال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): (إني لأعلم بما تقول، ولكنهّما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم (عليه السلام))، والإشكال الرئيسي الذي أريد أن أوجهّه ليس عدم التطابق هذا بين الحالة الواقعة هذه وما أخبرت عنه الروايات، بل إنّ الحالة لم تقع في بلادنا أصلاً[1]، فقد مرّ علينا منتصف شهر رمضان ولم يحصل فيه خسوف ولا كسوف في آخره.

الصحيح هو الاهتمام بالشروط لا بالعلامات:

ولكن الذي أريد أن أنبه عليه هو إنّ الصحيح الاهتمام بشروط الظهور الميمون لا علاماته، فحصول العكس من قبل شيعة الإمام (عليه السلام) هي الشكوى الأخرى التي أريد أن أرفعها بالنيابة عنه (عليه السلام)، ويتّضح هذا التنبيه من خلال معرفة معنى الشرط والعلامة والفرق بينهما، وتوجد في كتاب الغيبة الكبرى[2] لسيدنا الأستاذ (قدس سره) أفكار نافعة في هذا المجال سيتضمن الكلام بعضها بإذن الله تعالى.

فإنّهما يشتركان في كونهما مما يتحقق قبل الظهور أو مزامناً له، وإلا فإن تحقق الظهور قبل اجتماع أسباب نجاحه في تحقيق التخطيط الإلهي ـ وهو ما

---

(١) راجع الغيبة الكبرى للشهيد السيد محمد الصدر لماذا يفترض في العلامات أنها في بلادنا.

(٢) تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ص٣٩٥ وما بعدها.

نسميه بشرط الظهور ـ يستلزم تحقق المشروط قبل شرطه، أو فشل الإمام (عليه السلام) في مهمته، وتحققه قبل العلامة يعنى تكذيب إخبار المعصوم (عليه السلام) عنها على فرض صحة أخبار العلامات كلاً أو بعضاً، وكلّها مستحيلة. لكنهما يفترقان من عدة جهات يظهر من خلالها وجوب الاهتمام بالشرط أكثر من العلامة.

الفرق بين الشرط والعلامة:

وأول وأهم فرق يستفاد من تعريفهما، فإن الشرط ما كان له مدخلية في تحقيق المشروط على نحو العلّية. فإن وجود النار وحده غير كافٍ لإحراق الأشياء من دون شرط الإحراق، وهي المماسة والمحاذاة، ويستحيل وجود المشروط وهو الظهور من دون شرطه، وإذا تحقّق الظهور من دونه فإنه يستلزم فشله.

أمّا العلامة فليس لها دخل عِلّي وسببي في تحقّق الشيء، ولكنها تفيد الكشف والدلالة على حصوله، كوجود الدخان الدال على النار، فإنّه يمكن أن توجد النار بلا دخان، ولكن وجود الدخان كاشف عن وجود النار، فلا ضرورة لحصول العلامات من هذه الجهة، وإنّما يجب تحققها قبل الظهور من جهة أخرى هي لكيلا يستلزم كذب إخبار الإمام (عليه السلام)، والنتيجة إنّ ارتباط الظهور بالشرائط ارتباط واقعي لأنّها تدخل ضمن العلّة والسبب له، أمّا ارتباطه بالعلامات فهو ارتباط ظاهري بمعنى الكشف والإعلام.

وقد ذُكِرت فروق أخرى ليست ذات قيمة، ومما يقلل أهمية العلامات:

١ ـ ضعف الروايات الدالّة عليها وإن أمكن قبول بعضها باعتبار تأييد بعضها لبعض[1].

٢ ـ اختلافها في التفاصيل.

---

(١) إذا تجمعت وكثرت عدة روايات على علامة واحدة فانه يحصل الاطمئنان بها.

٣ ـ قابليتها للانطباق على أمور كثيرة كمقتل السيد الحسني، فإن العشرات من ذرية الإمام الحسن (عليه السلام) ثاروا في أيام الدولة الأموية والعباسية وانتهوا إلى الشهادة، وقتل كثير غيرهم من بني الحسن (عليه السلام)، أو علامة نزول الترك الجزيرة[1]، وقد نزلوها كثيراً خصوصاً أيام الاحتلال العثماني، وكذا خروج الرايات السود من الشرق التي طبقت على أحداث كثيرة عبر التأريخ.

٤ ـ إنّ العلامات غير اختيارية لنا، أمّا الشروط ونقصد بالذات الشرط الرئيسي وهو إعداد النفس لتتأهل لنصرة الإمام (عليه السلام) فهي اختيارية، فالأولى غير واقعة ضمن التكليف عكس الثانية، ونحن يهمّنا معرفة تكليفنا وما يجب علينا فعله.

٥ ـ إنّ تحقيق العلامات[2] بل الظهور نفسه لا ينفعنا إن لم نكن من أهل التقى والإيمان والإخلاص والعمل الصالح لنحظى بنصرة الإمام (عليه السلام)، فعلينا أن نفكر في كيفية وصولنا إلى هذه المرتبة ولنساهم في تحقيق شرط الظهور، وإلا سيكون ظهور الإمام (عليه السلام) قاصماً لظهورنا، فاستمعوا بتدبر لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾(السجدة: ٢٨-٣٠)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾(الأنعام:١٥٨)، فأحد مصاديق الفتح هو يوم الظهور المبارك وحينئذ لا ينتفع به إلا من هذّب نفسه وآمن وعمل صالحاً وهو المعنى الحقيقي للانتظار.

---

(١) أي ما بين النهرين من العراق.

(٢) والخطاب إلى كل من يهتم بالعلامات أكثر من الشروط.

الأعور الدجال ليس إنساناً:

٦ ـ التزامها أسلوب الكناية والرمزية، وحينئذٍ تختلف التفسيرات ولا يمكن الجزم بأحدها، ومنها أخبار الأعور الدّجال الذي هو من العلامات الرئيسية قبل الظهور، وقد ذُكرت له أوصاف عديدة إذا حاولنا تطبيقها على إنسان واحد فإنّه سيكون معجزة، فإمّا أن ننكر هذا الشيء ونقول: إنّ المعصومين (عليهم السلام) كانوا يروون عن ما يشبه قصص ألف ليلة وليلة، وهذا عمل البطّالين والعابثين، لا الهداة إلى الله والأدلاء على طاعته، والقوّامين بأمره، وأما أن نفسرها بوجه معقول يستوعب هذه الأوصاف.

وبمناسبة الصراع الذي بدأه الغرب مع الإسلام وأهله أنقل هذا التفسير لسيّدنا الأستاذ (قدس سره)[١] الذي ينسجم مع هذا الصراع، مع شيء من التبصر والتلخيص والبيان والتطبيق على الواقع المعاصر، حيث يمثل الدّجال الحركة أو الحركات المعادية للإسلام في عصر الغيبة عصر الفتن والانحراف بادئاً بالأسباب الرئيسية، وهي الحضارة الغربية بما فيها من بهارج و هيبة وهيمنة على الرأي العام العالمي، ومخططات واسعة ومنتهياً إلى النتائج وهو خروج عدد من المسلمين عن الإسلام عملياً وإن تسمّوا بالإسلام[٢] واعتناقهم المذاهب المنحرفة، وما يعم الأفراد والمجتمعات من ظلم وفساد.

وإليك أوصاف الأعور الدجال بحسب ما جاء في الروايات من كتب الشيعة والسنة مع تطبيقها على هذه الأطروحة، فليس هناك ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة خلق منحرف أكبر من الدّجال[٣] باعتبار هيبة الحضارة الغربية

---

(١) تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ص٥٣٢ ـ ٥٣٧.

(٢) في حركاتهم وطباعهم وتصرفاتهم وملابسهم و قصّات شعرهم.

(٣) إشارة إلى ما في بعض الروايات أنه: (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق ـ وفي حديث آخر أمرٌ ـ أكبر من الدجال) تأريخ الغيبة الكبرى: ص٥١٦ عن صحيح مسلم.

وعظمتها المادية ومخترعاتها وأسلحتها الفتاكة، وتطرفها الكبير نحو سيطرة الإنسان والإلحاد بالقدرة الإلهية بشكل لم يعهد له مثيل في التأريخ، ولن يكون له مثيل في المستقبل أيضاً لأن المستقبل سيكون في مصلحة نصرة الحق والعدل. وهذا التفسير واضح على الرواية الأخرى: (أمر أكبر من الدّجال) مما يعني أنه ليس رجلاً بعينه وإنّما هو اتجاه حضاري معادٍ للإسلام.

(وإنّ من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، وأن يأمر الأرض أن تنبت فتنبت)[1]، وكلّ هذا وغيره مما هو أهم منه من أنحاء السيطرة على المرافق الطبيعية مما أنتجته الحضارة الغربية، ولا تخفى ما في ذلك من الفتنة فإن أعداداً مهمة من أبناء الإسلام حين يجدون جمال المدنية الغربية فإنهّم سوف يتخيلون صدق عقائدها وأفكارها وتكوينها الحضاري بشكل عام، وهذا من أعظم الفتن والأوهام التي يعيشها الأفراد في العصور الحاضرة، وهي غير قائمة على أساس صحيح إذ لا ملازمة بين التقدم التكنولوجي المدني والتقدم العقائدي والفكري والأخلاقي، يعنى لا ملازمة بين الجانب الحضاري والجانب المدني في المجتمع، فقد يكون المجتمع متقدماً إلى درجة كبيرة في الجانب المدني ومتأخرة إلى درجة كبيرة في الجانب الحضاري، وأوضح مصاديقه الكيان الصهيوني؛ فإنّه في طليعة المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً، إلا أنكّ تجد الهمجية والوحشية في سلوكهم المنافي لكل القيم بما فيها تلك التي أجمعوا هم وكلّ أمم العالم على الالتزام بها بما يسمونها بحقوق الإنسان، وكذا الولايات المتحدة التي تمثل النموذج الأرقى لتقدم الغرب إلا إنها في الحضيض من الناحية الأخلاقية، وجرائمها في العراق واليابان وفيتنام وفلسطين والبوسنة وأفغانستان شواهد على ذلك.

(وإنّ من فتنته أن يمرّ بالحي فيكذّبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر في الحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر

---

(١) هذا ما ورد في بعض الأخبار عن صفاته.

الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمى ما كانت وأعظم وأمدّه خواصراً وأدره ضروعاً)[١].

وهذا يعني -لا على وجه التعيين- أنّ المكذب للمد المادي الأوربي والواقف أمام تياره يُمنى بمصاعب وعقبات، ويكون المال والقوة إلى جانب السائرين في ركابها المتملقين لها المتعاونين معها، والتعبير بالحي يعني النظر إلى المجتمع على العموم، وهذا هو الصحيح بالنسبة إلى المجتمع المؤمن في التيار المادي، إذ لو نظرنا إلى المستوى الفردي فقد يكون في إمكان الفرد المعارض أن ينال تحت ظروف معينة قسطاً من القوة والمال.

الدجال ينادي أنا ربكم الأعلى:

والدجال أيضاً يدعي الربوبية، إذ ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين يقول: (إليّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوى وقدّر فهدى، أنا ربكم الأعلى[٢])[٣]، وكلّ ذلك واضح جداً من سير الحضارة الغربية وأسلوبها، فإنها ملأت الخافقين من خلال وسائل الإعلام الحديثة بمادياتها، وعزلت البشر عن المصدر الإلهي والعالم العلوي، فخسرت بذلك العدل والأخلاق والفكر الذي يتكفله هذا المصدر، وأعلنت عوضاً عن ذلك ولايتها على البشرية، وفرضت آيديولوجيتها على الأفكار وقوانينها على المجتمعات، بدلاً عن ولاية الله وقوانينه، وهذا يعني ادّعائها الربوبية على البشر، أي إنها المالكة لشؤونهم من دون الله تعالى، وهذا ما تريد الولايات المتحدة تسيير العالم عليه بما يسمونه بالعولمة والنظام العالمي الجديد، وسخرت آليات لتنفيذه كالبنك الدولي ومنظمة

---

(١) كتاب الفتن: ص٣٢٧.

(٢) وهو لسان حال الولايات المتحدة.

(٣) تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٢، عن سنن ابن ماجة وإكمال الدين للصدوق.

التجارة العالمية وحتى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وتريد أن تفرض رؤيتها على جميع البشر، ولا مكان في هذا العالم لمن لا يوافقها، وقد سبقها إلى ذلك فرعون الذي ادعى الربوبية وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾(غافر:٢٩) وأمريكا تكرر نفس الكلمة.

وضوح عبودية وانقياد أولياء أمريكا:

وأمّا دعوتها لأوليائها من أطراف الأرض فليتم تثقيفهم الفكري وتربيتهم الأخلاقية والسلوكية تحت إشرافها، ولترتبط مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية بها، وهذا واضح حيث تجدهم يتسابقون بين الحين والآخر لتقديم فروض الولاء والطاعة وكلّ ما تقتضيه واجبات الربوبية، ولا يعتذرون عن أية تكليف يفرض عليهم كموالاة صديقهم[١] ومعاداة عدوهم وإن كان أخاً صادقاً في الله، وتقديم التسهيلات العسكرية، وترويج البضائع وفتح الأسواق، وابتزاز الأموال تحت عناوين شتى.

علة استثناء مكة والمدينة:

(ولا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة)[٢]، وهو ما حدث فعلاً بالنسبة إلى انتشار الفكر الغربي والتأثر والانبهار به والتقليد الأعمى له في كلّ البسيطة، فليس هناك دولة في العالم اليوم لا تعترف بالاتجاهات العامة للفكر والقانون الغربي[٣].

وأمّا استثناء مكة والمدينة فهو يعني إنّ الفكرة الإلهية المتمثلة بمكة والفكرة الإسلامية المتمثلة بالمدينة المنورة لا تنحرف بتأثير المد الغربي، بل تبقى

---

(١) لاحظ تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني الغاصب.

(٢) تأريخ الغيبة الكبرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٦ عن سنن ابن ماجه.

(٣) فالفكر الغربي غزا مجتمعاتنا كلها فكل حركاتها وقوانينها على النمط الغربي.

صامدة محفوظة في أذهان أهلها وإيمانهم، وهذا يدلّ على انحفاظ الحقّ في الجملة بين البشر، وأن الانحراف لا يشمل البشر أجمعين وإن كانت نسبة أهل الحق إلى غيرهم كنسبة مكة والمدينة إلى سائر مدن العالم كله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(التوبة:٣٢).

وهذا مطابق لما يقتضيه التخطيط الإلهي لليوم الموعود من بقاء قلّة من المخلصين المحصين المندفعين في طريق الحق، وأكثرية من المنحرفين والكافرين، ويكون لأولئك القلّة المناعة الكافية ضد التأثر بالأفكار المادية والشبهات المنحرفة، بل إنّ هذه الشبهات لتزيدهم وعياً وإيماناً وإخلاصاً، ولا يزال الغربيون حريصين على انتهاء رموز الإسلام هذه، قال المبشر وليم جيفورد: (متى توارى القرآن ومدينة مكة[١] من بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه).

فهدفهم إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم وتفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيقها[٢]، وهذا هو معنى ما ورد في بعض أخبار الدجال من منعه عن مكة والمدينة بواسطة ملك بيده سيف مصلت يصده عنها[٣] وأن على كل نقب ملائكة يحرسونها[٤]، فإن تشبيه العقيدة الإسلامية بالملك ومناعتها بالسيف ما لا يخفى لطفه، وأما كون الملائكة على كل نقب فهو يعني الإدراك الواعي للمؤمن

---

(١) يريد بالقرآن الفكر والوعي ويريد بمكة وحدة المسلمين وعقيدتهم.

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة / ١٦٩.

(٣) يعني في كلّ جيل يوجد خلف يحافظ على الدينّ ويمنع دخول الدجال مكة والمدينة.

(٤) إشارة إلى حديث رواه مسلم في الصحيح يقول فيه الدجال:(فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلّما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده سيف صلتاً يصدّني عنها).تأريخ الغيبة الكبرى: ص٤٨٤.

بأن في الإسلام حلاً لكل مشكلة وجواباً على كل شبهة، فلا يمكن لشبهات الآخرين أن تغزو فكره أو تؤثر على ذهنه.

ومن هنا تبرز المسؤولية العظيمة الملقاة على العلماء والفضلاء من أبناء الحوزة العلمية الشريفة في الوقوف بوجه الشبهات وردّها والدفاع عن الإسلام العظيم وسد الثغرات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية وحتى الاقتصادية التي يمكن أن ينفذ العدو من خلالها[1]، أليسوا هم (حصون الإسلام) كما تصفهم الأحاديث؟ فما هو دور الحصن غير حفظ الكيان ومنع هجمات العدو، أوليسوا هم (أمناء الرسل)؟! فإذن قد ائتمنهم الرسل على كلّ المسؤوليات التي تحملها أولئك الكرام، وبالمقابل على الأمة أن تلتف حول علمائها وتلجأ إليهم في كلّ صغيرة وكبيرة، وإلا ضاعوا وضلّوا ووقعوا في فتنة الدجال من حيث لا يشعرون.

الدجال باقٍ من زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

والدجال طويل العمر باقٍ من زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين لم يؤمن برسالته من ذلك الحين، بل ادعى الرسالة دونه[2]، ولا زال على هذه الحالة إلى الآن، فإن الدجال أو المادية تبدأ أسسها الأولى من زمن النبي

---

(١) فإذا وجد الفرد ضالّته في الحوزة، فإن ارتباطه بها سيكون وثيقاً ولا يغادرها إلى غيرها.

(٢) كما في الخبر الذي أخرجه مسلم عن عبد الله قال: (كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ففرّ الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كره ذلك فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تربت يداك أتشهد أني رسول الله؟ فقال: لا بل تشهد أني رسول الله، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله) تأريخ الغيبة الكبرى، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٥.

(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث كان للمنافقين أثرهم الكبير في إذكاء أوارها ورفع شأنها، فكانوا النواة الأولى التي حددت تدريجياً سير التأريخ على شكله الحاضر بانحسار الإسلام عن وجه المجتمع في العالم وسيطرة المادية والمصلحية عليه.

إذن فالمنافقون الذين لم يؤمنوا برسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولئك الذين كان مسلك الدجل والخداع مسلكهم إذ يظهرون غير ما يبطنون، هم النواة الأولى للمادية المخادعة التي تظهر غير ما تبطن وتبرقع قضاياها بمفاهيم العدل والمساواة، فهذا هو الدجال بوجوده الطويل.

معنى ادعاء الدجال الرسالة:

ومن هنا نفهم معنى ادعائه للرسالة، فإن المادية كانت ولا تزال تؤمن بفرض ولايتها على البشر، غير أنّها كانت في المجتمع النبوي ضعيفة التأثير جداً لا تستطيع الارتباط بأي إنسان، ولكن حين أُذن للدجال المادي بالخروج[1] بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلقت النفوس الأمارة بالسوء من قمقمها، وبلغت فتنته الذروة اليوم حين استطاعت المادية أن تفرض ولايتها وسلطتها على العالم.

ومن هذا المنطلق تفهم بكلّ وضوح معنى أنهّ عند الدجال ماء ونار، وماؤه في الحقيقة هي نار، وناره هو الماء الزلال، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث: (فمن أدرك ذلك فليقع في الذي يراه ناراً؛ فانه ماء عذب طيب)[2]، فإن الماء الذي عند الدجال هي المغريات والمصالح الشخصية التي

---

(١) إشارة إلى الحديث في صحيح مسلم عن لسان الدجال (وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج) تأريخ الغيبة الكبرى، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٤.

(٢) أخرجه بهذا التفصيل مسلم في صحيحه٨ / ١٩٦ وروى صدره البخاري ٩ / ٧٥ في صحيحه، تأريخ الغيبة الكبرى، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٥.

تتضمنها الحضارة المادية لمن تابعها وتعاون معها، وناره عبارة عن المصاعب والمتاعب والتضحيات الجسام التي يعانيها الفرد المؤمن الواقف بوجه تيار المادية الجارف، وتلك المصالح هي النار أو الظلم الحقيقي، وهذه المصاعب هي الماء العذب أو العدل الحقيقي، ومن الطبيعي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصفته الداعية الأكبر للإيمان الإلهي ينصح المسلم بأن لا ينخدع بماء الدجال وبهارج الحضارة ومزالق المادية، وأن يلقي بنفسه فيما يراه ناراً ومصاعب فإنّه ينال بذلك طريق الحق والعدل، والرمزية والكناية واضحة لأنّه ليس المراد به الماء والنار على وجه الحقيقة، وإلا لزم نسبة المعجزات إلى المبطلين.

ومن طريف ما نستطيع أن نلاحظ في المقام أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل في الخبر: أنّ الناس جميعاً حين يقعون في الماء فإنهم يجدونه ناراً أو حين يقعون في النار يجدونها ماءاً، بل يمكن أن نفهم أن بعض الناس وهم المؤمنون خاصة هم الذين يجدونه ذلك، وإلا فإن أكثر الناس حين يقعون في ماء الدجال أو بهارج المادية لا يجدون إلا اللذة وتوفير المصلحة كما أنهّم حين يقعون في المصاعب والمتاعب لا يجدون إلا الضيق والكمد.

لماذا الدجال أعور؟؟

والدجال أعور[1]، وهو كذلك بكلّ تأكيد من حيث إنّ الحضارة المادية تنظر إلى الكون بعين واحدة، تنظر إلى مادته دون الروح والخلق الرفيع والمثل العليا، ومن يكن أعور غير مدرك للحقائق فكيف يكون رباً صالحاً للولاية على البشرية، وإنّما تكون الولاية خاصة بمن ينظر إلى الكون بعينين سليمتين فتكون نظرته متوازنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر:٤٩)، ويتعامل

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٥/٩) عن أنس قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (ما بُعِثَ نبي إلا أنذر أمته الأعور والكذاب، ألا إنه أعور وإن ربّكم ليس بأعور) وأخرج مسلم نحوه (٨ / ١٩٥).

مع جميع مفرداته بما فيه من مادة وروح ويعطي لكل زاوية حقها الأصيل: (وإنّ ربكم ليس بأعور)، بل إنّ ربي على صراط مستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام:١٥٣).

والدجال كافر لأنهّ يعبد المادة والمصالح ولا يعبد الله ولا يطيعه ولا يلتفت إليه ويطيع شهوات النفس ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ، وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾(الجاثية: ٢٣-٢٤)، وهذا بعينه ما يقوله الغرب، فلا وجود ولا اعتبار للآخرة في حياتهم، وإنّما خلقنا لنتمتع ولنعبّ من الشهوات أكبر قدر ممكن ولو على حساب كلّ القيم والمثل التي تليق بالإنسان، لذلك فهم يعادون الإسلام وبعيدون عن الحق والصواب، لانّ الإسلام يحاسبهم ويمنع من ممارساتهم الخاطئة ويدعو إلى مواجهتهم.

معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين:

في الحديث: (مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كلّ مؤمن كاتب وغير كاتب)[1]، فإن هذه الكتابة ليست من جنس الكتابة، وإنّما هي تعبر عن معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين ونفاقهم، وهذا لا يتوقف عن كون الإنسان قارئاً وكاتباً أولم يكن، ومن المعلوم اختصاص هذه المعرفة بالمؤمنين (يقرأه كلّ مؤمن)؛ لأنهّم يعرفون الميزان الحقيقي العادل لتقييم الناس، وأمّا المنحرفون فهم لا يقرأون هذه الكتابة وإن كانوا على درجة كبيرة من الثقافة؛ لأنهّم مماثلون لغيرهم في الكفر والانحراف، ومن الطبيعي ألاّ يرى الفرد أخاه في العقيدة كافراً.

---

(١) البخاري (٩ / ٧٦) وصحيح مسلم (٨ / ١٩٥) راجع تأريخ الغيبة الكبرى، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥١٢.

وأنت تجد اليوم كلّ مؤمن بالله والمثل الإنسانية العليا وإن لم يكن مسلماً يشمئز من ظلم أمريكا والكيان الصهيوني ويستهجن استعلائهم وعنجهيتهم واستهتارهم بهذه القيم، حتى إنّ العشرات من مفكري ومثقفي أمريكا وقّعوا وثيقة أرسلوها إلى نظرائهم الأوربيين اعترضوا فيها على وصف الحرب التي أعلنتها أمريكا ضد ما يسمى بالإرهاب بالعادلة، وأنّ من يعادي الولايات المتحدة هو محور الشر، وطالبوهم بعدم الخشية من إعلان مثل هذا الرأي خوفاً من إلصاق تهمة الشر بهم[1].

وفي مقابل ذلك يوجد من أعمته المادة كالمفكر ـ حسب ما يصفونه ـ البريطاني كوفر الذي يُعد من أشد المساندين لسياسة رئيس الحكومة البريطانية بلير، يقسّم في مقال بثّه عبر الإنترنت العالم المعاصر إلى متحضر ومتخلف، ويدعو إلى تطبيق القانون على الأول فقط، أما الثاني فتطبق بحقه شريعة الغاب والعنف والاستعباد لأنهّم خطر على العالم المتحضر[2]، فأين هذا من مبدأ الإسلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧) من دون استثناء.

الحوزة تحذر من الوقوع في فتنة الغرب الكافر:

ومن أجل هذه الخصائص الخطيرة للدجال التي قلّ من ينجو من الوقوع في فخوخها حذّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته منه واستعاذ من فتنته لأجل أن يأخذ المسلمون حذرهم على مدى التأريخ من النفاق والانحراف والمادية، بل قد حذّر كلّ الأنبياء (عليهم السلام) أممهم من فتنة الدجال لما سبق أن فهمنا أنّ المادية السابقة على الظهور هي من أعقد وأعمق الماديات على مدى التأريخ البشري (ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة)، وتشكل خطراً حقيقياً على كلّ الدعوات المخلصة للأنبياء أجمعين (عليهم السلام)، ونحن بدورنا

---

(١) من أخبار الإذاعات يوم ١٠ / ٤ / ٢٠٠٢.

(٢) نفس المصدر.

نحذّر من الوقوع في شراك الحضارة الزائفة التي يدعيها الغرب، ويخفي في داخلها السم الزعاف.

وأدعو الذين انبهروا بهم فقلدوهم في أفكارهم وسلوكياتهم ونظرتهم للحياة حتى عادوا يتباهون بهذه التبعية ويتبجحون بها، وأخص بالذكر أساتذة الجامعات والمثقفين والشباب، وأطلب منهم أن لا ينخدعوا بالظاهر، بل لينظروا بعين البصيرة؛ فإنهّم نخبة المجتمع والقادرون على توجيهه، وأنا لا أقول بالتقاطع التام مع الغرب لأنّ عندهم ما هو نافع كالعلم والتكنولوجيا، ولكن لا يلزم من ذلك التبعية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية، فإن عندنا شريعة وضعها خالق البشر والعالم بما يصلحهم والقادر على إسعاد البشرية في كلّ زمان ومكان، فقد جاء الذكر الحكيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦).

وأذكر لكم مثالاً التقطته من الإذاعات قبل أشهر – للدكتور عبد اللطيف المر، استشاري الصحة العامة في دولة الكويت في برنامج بتأريخ ٢٠٠٢/٧/٢٠م – بمناسبة إعلان أمريكا حرباً عامة ضد السمنة وقد ظهرت الإحصائيات التالية: (من ٩٠ مليون مصاب أي ثلث عدد السكان، ٣٠٠ ألف يموتون بسبب مرض القلب الناشئ من السمنة فقط، إن السمنة سبب لسرطان القولون وهو في النساء أكثر من الرجال، وإنه سبب لمرض السكر وهكذا) وكانت نصائحهم: تقنين الغذاء كيفاً (بالاهتمام بالفواكه والخضراوات وتقليل الدهون) وكماً ــ زيادة الحركة ــ وهذه قد جاء بها القرآن منذ ١٤٠٠ عام بنصف سطر بقوله تعالى: ﴿كلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾(الأعراف:٣١)، وفرض حركات رياضية تؤدى (١٧) مرة يومياً وموزعة بانتظام على الوقت، وهي ركعات الصلاة المفروضة مضافاً إلى المستحبة، وفرض صوم في السنة شهراً لتنظيم عمل المعدة وإصلاح أي خلل حصل في طول العام، هذا غير النصائح الأخرى، كـ(المعدة بيت

الداء، والحمية رأس كلّ دواء) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (فإن كان ولا بد فثلث لطعامك وثلث لشرابك وثلث لنَفَسِكَ)، وهكذا فلو اتبعنا تعاليم الإسلام لوفرنا الكثير من الجهد والمال والتجارب والإحصاءات.

الدجال حقير أمام الحق:

وهو أي الأعور الدجال رمز الحضارة الغربية بالرغم من ذلك كلّه (أهون على الله من ذلك)[1]، باعتباره حقيراً أمام الحق والعدل مهما كانت هيمنته الدنيوية وسعة سلطته، وليس وجوده قدراً قهرياً أو أثراً تكوينياً اضطرارياً، وإنّما وجد من أجل التمحيص والاختبار بالتخطيط الإلهي العام، وسوف يزول عندما يقتضي هذا التخطيط زواله عند الظهور وتطبيق يوم العدل الموعود.

ومن هنا نفهم أنهّ لا تعارض بين الخبر الدال على إنّ معه جبل خبز ونهر ماء، والخبر الدال على إنّه أهون على الله من ذلك، فإن هوانه عند الله لا ينافي حصوله على السلطة والإغراء أخذاً بقانون التمحيص والإمهال الإلهي طبقاً لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس:٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه الصحيحان (البخاري ٩ / ١٧٤، مسلم ٨ / ٢٠٠) عن المغيرة بن شعبة: (ما سأل أحدٌ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: ما يضرّك منه؟ قلت: لأنهم يقولون أن معه جبل خبز ونهر ماء، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هو أهون على الله من ذلك) تأريخ الغيبة الكبرى، للشهيد السيد محمد الصدر: ٤٩٠.

وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(الأعراف:٩٤-٩٥)، وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران:١٧٨).

أهمية العلامات:

وأعود الآن إلى ما بدأنا منه وهو التقليل من أهمية العلامات، ولا أريد أن يفهم من ذلك إلغاء دورها وإلا لماذا ركز عليها المعصومون (عليهم السلام) بهذه الكثرة من الأحاديث، فتبقى لها أهميتها من عدد جهات:

١ ـ إنّها تشكل محطات لتجديد الأمل وبعث الروح في نفوس المظلومين والمستضعفين وكلّ من ينشد بسط العدل والحرية في جميع الأرض.

٢ ـ إنّها تمثل جانباً إعجازياً للمعصومين (عليهم السلام) حيث إنّها كانت في حين صدورها إخباراً عن الغيب، فتحققها يثبت أنّ مصدرها من الله تعالى[1].

٣ ـ إنّها تدفع المؤمنين بالإمام (عليه السلام) والساعين إلى نصرته أن يضاعفوا الهمة في الاستعداد للظهور سواء على صعيد بناء النفس أو إصلاح المجتمع، وتشحذ من عزمهم في هذا الاتجاه، فإنّه المعنى الحقيقي لانتظار الإمام وترقب ظهوره المبارك.

٤ ـ إنّ بعض العلامات تدخل في ضمن الشروط كفتنة الدجال، فإنّها مرحلة مهمة من مراحل التمحيص والغربلة التي وعدت بها الروايات، كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس، ولا والله

---

(١) لذا فهي من مصاديق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ سورة البقرة: ٣.

حتى تُمَيزوا، ولا والله لا يأتيكم حتى تُمَحصوا، لا والله لا يأتيكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)[١].

الكثير من العلامات مرتبطة بالظلم:

كما إنّ الكثير من العلامات مرتبطة بالظلم والانحراف الذي يسود البشرية قبل الظهور، فكثرة الزلازل والفيضانات والكوارث الطبيعية هي بسبب سوء سلوك الناس: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١) لأن الكون خاضع لسنن إلهية ثابتة قائمة على أساس التوحيد ويرتبط بعضها ببعض خيراً وشراً كما مرّ في الآية السابقة: ﴿ولو أن أهل القرى...﴾.

وقد لا تقتنع بهذا الربط فأنقل لك من الوقائع الحالية ما يثبت هذه العلاقة، ففي شهر آب ٢٠٠٢م اجتاحت موجة من الفيضانات بعض دول أوربا (ألمانيا، النمسا، جيكوسلفاكيا) واستمرت أياماً، وفي كلّ يوم كان يتوقع الأسوأ، ففي شرق ألمانيا فقط[٢] (١٥ قتيل، ٣٠ ألف مشرد، ارتفاع منسوب المياه في النهر في درسدن العاصمة الثقافية والتأريخية لشرق ألمانيا إلى (٥،٩) متراً في حين أن معدله عند الارتفاع ٥ إلى ٦ متراً).

ولم تشهد أوربا مثل هذه الموجة منذ ١٥٠ عاماً، ويلقون باللوم على أمريكا التي لم توقع على معاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة لدرء خطر الاحتباس الحراري عند تشغيل المعامل كلّها سوية، وهذا الاحتباس زاد من

---

(١) المصدر: ص٢٦٠ ويمكن أن يضاف إن هذه العلامات تكون موضع بحث ودراسة ونقاش من قبل المهتمين بظهور الإمام (عليه السلام) مما يؤدي إلى طرح نظريات كثيرة كلها تسهم بشكل أو بآخر في تسليط الضوء على الإمام (عليه السلام) ودوام ذكره.

(٢) أخبار يوم ١٧ / ٨ / ٢٠٠٢.

درجة الحرارة فأدى إلى زيادة ذوبان الجليد وغزارة الأمطار فحدث ما حدث، وهذا شاهد على اختلال التوازن الطبيعي بسوء تصرف الإنسان، وقد وقفت أعتى تكنولوجيتهم عاجزة ـ كما يعترفون ـ أمام هذه الكوارث الطبيعية.

فيوجد إذن ارتباط وتسلسل علل ومعلولات، يبدأ الناس بعصيان أوامر الله والخروج عن شريعته ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وإحدى نتائج ترك هذه الفريضة تسلّط الأشرار[١] الذي لا يعرفون غير أنانيتهم ومصالحهم فيفسدون النظام الجاري في الطبيعة فتحصل الكوارث. وعلى العكس فيما لو ساد البشرية العدل فسيؤدي كلّ عنصر في هذا الكون وظيفته على أتم ما يكون، وتنعم الدنيا كلّها بثماره الطيبة.

أما عدّها من العلامات دون الشروط فلوجهين:

١ ـ إنّ الروايات نظرت إليها بهذا اللحاظ أي الكشف والدلالة عن الظهور.

٢ ـ إنّها ليست واقعة في علل الظهور، بل هي من نتائج ومعلولات بعض علل الظهور.

ولا استبعد[٢] أن تكون هذه الفتنة التي أطلّت على مجتمعاتنا الإسلامية وبلدنا بالذات هي التي قصدها الإمام المهدي (عليه السلام) في رسالته الأولى إلى الشيخ المفيد (قدس سره)[٣] وبيّن خلالها تكليف شيعته إجمالا، فقد جاء فيها: (فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على إنتياشكم ـ أي إنقاذكم ـ من فتنة

---

(١) بمثل هذه الإشارات والتوجيهات العملية كان سماحة الشيخ ينتقد السلطة الحاكمة وكل الأنظمة الطاغوتية.

(٢) عقب هذا التوقع بدأت قوات التحالف الغربي بقيادة أمريكا احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وكانت فاتحة فتن وحروب طائفية وصراعات سياسية وتدخلات أجنبية، حرس الله المؤمنين بعينه التي لا تنام.

(٣) الاحتجاج: ٢ / ٣٢٣.

قد أنافت ـ أي أطلت وارتفعت ـ عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله ـ أي قرب ـ ويُحمى عنها من أدرك أمله، وهي إمارة لأزوف ـ أي اقتراب ـ حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون. اعتصموا بالتقية من شب نار الجاهلية ـ إلى أن يقول (عليه السلام) ـ فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته).

وصية الإمام (عليه السلام) إلى شيعته:

وإذا أردنا أن نترجم هذه الرسالة إلى وصايا وتكاليف من الإمام (عليه السلام) إلى شيعته استخلصنا النقاط التالية:

١ ـ تذكر الإمام (عليه السلام) دائماً[١] والدعاء له بالتأييد والنصرة والحفظ والتوسل به في طلب كلّ الحوائج[٢] وترقب ظهوره (عليه السلام).

٢ ـ أن يكون المسلم على مستوى ما يريده الإمام (عليه السلام) منه من الالتزام بالشريعة والأخلاق الفاضلة والآداب السامية والعقائد الصحيحة في ضوء ما وردنا عن المعصومين (عليهم السلام) حتى يفخر بكم إمامكم، ويقول: هؤلاء شيعتنا المتأدبون بأدبنا وكما أوصاكم الإمام الصادق (عليه السلام): (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)، وقد خصصنا الشكوى الأولى[٣] لبيان صفات المسلم الحق التي هي صفات أنصار الإمام (عليه السلام).

---

(١) هل فكرت أثناء زياراتك أن تصلي للإمام (عليه السلام) ركعتين أو تتصدق لحفظ الإمام (عليه السلام)؟ فنحن الذين غيبنا الإمام عن أفكارنا وأذهاننا مع العلم نحن نعيش بحفظه ودعائه.

(٢) وقد تعلمت أنا شخصياً أني كلما استعصى عليّ أمر اندب الإمام بقول: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فيساعدني في قضائها بإذن الله تعالى.

(٣) محاضرة ١٣ / رجب / ١٤٢٣هـ في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام).

٣ ـ التمسك بالحوزة الشريفة ممثلة بعلمائها وفضلائها الواعين المخلصين الذين لا يصدونكم عن هدى ولا يوردونكم الردى، فإنهّم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل (عليهم السلام) والأدلاء إلى طاعة الله تعالى، وهم امتداد أهل بيت العصمة (عليهم السلام) الذين وصفهم الإمام السجاد (عليه السلام) بأنهم (المتقدّم لهم مارق والمتأخّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق)، فكونوا ملازمين لهم مطيعين، ولا تعرضوا عنهم وتخلفوهم وراء ظهوركم فتهلكوا، ولا تنساقوا وراء أهوائكم، فتنشغلون بالتفتيش عن عيوبهم ونقائصهم مادام خطهم العام هو حفظ الدين وهداية الناس وإصلاحهم.

٤ ـ رفض التبعية للغرب والمحافظة على شخصيتنا الأصيلة بكلّ عناصرها، سواء في المظهر، أو في العقيدة، أو في الفكر والثقافة، والنظر إلى ما يأتينا منه بعين البصيرة، والالتفات إلى قبائحه ومساوئه والأمراض النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي تعصف بمجتمعاتهم، وستأتي على بنيانهم من القواعد عمّا قريب ما لم يعودوا إلى طريق الصواب، الذي بدأت الدعوات من مثقفيهم ومفكريهم تتصاعد بالمطالبة به إلا أنهّا لا تجد آذاناً صاغية بسبب طغيان المادة وإضلال المضلين واتباع الشهوات.

٥ ـ العمل على حفظ وحدة المجتمع[1]، والوقوف في وجه من يشق عصا المسلمين ويلقي بينهم بذور الخلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(آل عمران:١٠٣).

---

(١) بنبذ نقاط الاختلاف التي لا يخلو دين او مذهب منها والتركيز على نقاط الاشتراك فأعدائنا بالرغم من وجود نقاط اختلاف كثيرة فيما بينهم إلا انهم قد اجتمعوا على محاربة الإسلام فلماذا إذن لا نجتمع نحن على محاربتهم؟!

٦ ـ الغيرة على الدين، وعلى حرمات الله، وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد آلمني ما سمعت من إن الإفطار كان علنياً وبوضوح داخل الجامعات في شهر رمضان المنقضي من دون أن يتصدى المؤمنون لردعهم، ولو قاموا جميعاً بوظيفتهم هذه لأوجدوا زخماً اجتماعياً[1] لا يستطيع أولئك الأشقياء معه أن ينتهكوا حرمات الله في هذا الشهر العظيم.

مسؤولية الحوزة:

فهذه بعض وظائف المجتمع وهناك مسؤوليات على الحوزة الشريفة أيضاً منها:

أ ـ بيان عظمة الإسلام في عقائده وتشريعاته وآدابه، وإبراز نقاط القوة فيه، ونفي الشبهات، والدفاع عنه، وكونوا من أهل هذا الحديث الذي مضمونه: (إنّ لهذا الدين في كلّ خلف رجال ينفون عنه شبهات المبطلين).

ب ـ العمل على تربية الأمة وتهذيبها وتثقيفها وتوجيهها نحو طاعة الله بتكثير فرص الطاعة أمامهم، وتقليل فرص المعصية، واتخاذ شتى الأساليب والوسائل في هذا السبيل.

ج ـ تجسيد واقع الإسلام في حياتهم حتى يكونوا أسوة حسنة تقتدي الناس بأفعالهم قبل أقوالهم.

ونقاط كثيرة قد أشرت إلى بعضها في محاضرات سابقة، وربما سنحت الفرصة لغيرها في المستقبل بإذن الله تعالى.

---

(١) فكم هو جميل أن تتظافر الجهود وتتحد القوى في القضاء على المعصية وكم سيكون صوت الحق قويا وكم سيكون الباطل ضعيفا منبوذا، وتستطيع ان تلمس ذلك من خلال المواقف التي مرت بك عندما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويوجد من هو بجانبك ويضم صوته إلى صوتك وعلى العكس فيما لو كان صوتك وحيدا بين عدد كبير من الناس.

أسأل الله جلت آلاءه أن يفيض علينا من ألطافة ما يبلّغنا بها غاية رضاه، وأن يسدّد خطانا جميعاً ببركة سيدنا ومولانا صاحب العصر أرواحنا له الفداء، إنهّ ولي النعم.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

كلمة الحوزة العلمية بمناسبة الاحتفالات بأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله تعالى على رسوله وآله الطاهرين.

يحتفل الأخوة المسيحيون وغيرهم في مثل هذه الأيام بعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية، ويعبّرون عن فرحهم باحتفالات صاخبة تتضمن الكثير من المعاصي والموبقات الكبيرة والأفعال الجنونية التي لا يجد لها العقلاء مبرراً، ولم يقف أحد وقفة تأمّل ليرى هل أن هذه المظاهر تعبير صحيح عن الفرح في هذه المناسبة؟ وما هي المشاعر الحقيقية التي يجب أن تغمرنا ونحن نعيش هذه الذكريات المرتبطة بواحدٍ من أعظم البشر على الإطلاق، النبي الكريم والرسول العظيم، وأحد أولي العزم الذين أمر الله تعالى نبيّه الكريم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتأسى بهم قال تعالى في حقه (عليه السلام): ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(الأحقاف:٣٥).

الأمور التي يجب الالتفات لها:

لذا وجب الالتفات إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى: إنّ إتيان المعاصي والمنكرات أمر مرفوض دائماً تعاقب عليه الشرائع ويستهجنه العقلاء، فليس جزاء من أحسن إليك وأغدق عليك النعم حتى فاقت حدّ الإحصاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا

---

(١) محاضرتان ألقيتا بتأريخ ١- ٢/ذي القعدة/١٤٢٣ هـ المصادف ٥- ٦ / ١ / ٢٠٠٣م في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من طلبة العلوم الدينية.

تحْصُوهَا﴾(النحل:١٨) ويكفي أن تتخيّل صعوبة فقدان نعمة واحدة[1] من التي حباك الله بها لتحس بعظمتها.

أقول: فليس جزاءه أن تعصيه وبنفس النعم التي منّ بها عليك، قال تعالى مؤنّباً ومعاتباً: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلاّ الإحْسَانُ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن:٦٠-٦١)، فالمرجو من الإنسان العاقل أن يشكر الله على نعمته بطاعته ومحبته، والعمل بما يرضيه وتجنب ما يسخطه، وأولها ديمومة النعم وزيادتها (بالشكر تدوم النعم)، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم﴾(إبراهيم:٧)، ويوم رأس السنة من مواطن الشكر حيث أطال الله عمر هذا (المحتفل) وأبقاه إلى سنة جديدة ليعطيه فرصة إضافية للتوبة والعودة للطاعة، وزيادة القرب من الله تعالى، ولم يكن ممن اختطفهم الأجل خلال العام المنقضي وانسدّ عليهم هذا الباب، ففي الحديث: (إذا مات المرء فقد قامت قيامته)؛ لأنّ فرصته للعمل وكسب الحسنات قد انتهت وختم على كتابه قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الجاثية:٢٩)، فهل يكون الجزاء العصيان والتمرد؟ وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾(إبراهيم:٢٨-٢٩).

والمعاصي التي تُرتكب في ليلة رأس السنة تفوق كلّ الليالي والأيام ويُعدّ لها منذ مدة إعداداً شيطانياً محكماً لا يُبقي للعقل أي وجود، ويبقى الإنسان المخدوع أسير شهوته وأهوائه لا يستطيع النجاة من فخوخ شياطين الإنس والجن.

كيف يجب أن تكون مشاعرنا:

إنّ مشاعرنا ونحن نستقبل سنة جديدة يجب أن تكون مزيجاً من اتجاهين:

---

(١) كنعمة الصحة والأمان.

الأول: توجّس وقلق من حساب الله تعالى على ما صدر منّا من أعمال خلال العام الماضي، وقد ذهبت لذّته، وبقيت تبعته وعقابه، وقد نسيه العبد لغفلته، ولكن الله أحصاه وأحاط به، ولن يغفل عنه ويأتي اليوم الذي يحاسبه فيه على كلّ ما قدم.

الثاني: التفاؤل والأمل وحسن الظن بالله تعالى أن يلطف بنا ويوفقنا ويأخذ بأيدينا في العام الجديد ليجعله خيراً من العام الماضي، فيجنّبنا فيه المعاصي ويزيدنا من الطاعات قدر الإمكان انطلاقاً من الحديث الشريف: (من تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو ملعون).

فإن كلّ سنة تمثل سجلاً وكتاباً يضم صحائف أعماله، وفي مثل ليلة رأس السنة يطوى سجل ويفتح سجل، يطوى سجل العام الماضي ويختم عليه بما فيه ـ وما أدراك ما فيه ـ ليعرض يوم النشور ويُحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(الكهف:٤٩)، ويفتح سجل للعام اللاحق بصحائف بيضاء؛ فبماذا سيملؤها هذا الإنسان المسكين؟ هل سيعود إلى نفس حياته السابقة أم أنّه يثوب إلى رشده ويأخذ العبرة من الماضي؟

بالالتفات إلى أن زيادة كلّ ثانية ودقيقة إلى عمره يعني إعطاء فرصة إضافية للطاعة، فإن العمر رأس مال الإنسان يستطيع أن يستثمره في الطاعة، فيكسب رضا الله تبارك وتعالى والمنازل الرفيعة في الجنان، وصحبة خير خلق الله أو يقضيها بالمعاصي فيجرّ إلى نفسه عذاب الجحيم، وهذه الفرصة الإضافية التي تعطى للإنسان كالطالب الذي يُعطى حظاً ثانياً في امتحانات الدور الثاني

لعلّه ينجح[1]، فهل يُعقل منه أن يعود إلى نفس التقصير والإهمال وهو يعلم الكارثة التي تترتب على السقوط والفشل؟!.

وأرى من المناسب أن أعظ نفسي وأعظكم بنقل هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة كما يعرضه القرآن الكريم، وهو عبارة عن محكمة إلهية يقف فيها المذنب ـ وهم هؤلاء الذين قضوا حياتهم بالمعاصي والموبقات ـ وأمامه الشهود وهم نفس أعضائه التي مارس بها تلك المعاصي لكي لا يستكبر وينكر، ثمّ يُصدر عليه الحكم العادل الذي جناه هو على نفسه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ،وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فإن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ،وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالأِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾(فصلت:٢٠-٢٥).

هذه هي المشاعر التي يجب أن نحياها في ليلة رأس السنة، لا ما يفعله هؤلاء الغافلون السادرون في أودية الغي تسوقهم شياطين الإنس والجن أنىّ يشاءون، فيهدوهم إلى عذاب السعير.

---

(١) أليس هذا فضلاً من إدارة المدرسة ولطفاً منها لتستطيع أن تعوض ما ضيعته في الدور الأول، وهكذا نحن إذا لم نستطيع أن نحصل على درجات رفيعة سنة ٢٠٠٢م، فلنسعَ للحصول عليها سنة ٢٠٠٣م.

المطلوب محاسبة النفس كل ليلة:

وفي الحقيقة فإن المطلوب أن نحاسب أنفسنا في كلّ ليلة[١]؛ حيث نختلي بأنفسنا مع خالقنا ونستعيد ما صدر منا خلال اليوم، فما كان من حسنة استزدنا الله منها وسألناه القبول ومضاعفة الأجر، وما كان من سيئة استغفرناه منها وعاهدناه تبارك وتعالى على عدم العود، وإذا تعلق بمظالم العباد استعنّاه على رد الظلامات إلى أهلها، وما كان من تقصير في عمل صالح سألناه المعونة والتوفيق والتسديد، فلقد جاء عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)[٢]، وأيضاً من وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر (رضي الله عنه) إنّه قال: (يا أبا ذر، حاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية ــ إلى أن قال ــ يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشّد من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حلالٍ أو من حرام؟ يا أبا ذر، من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار)[٣]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فافعل فيّ خيراً واعمل فيّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها

---

(١) وذلك لأن الإنسان معرض للنسيان فإذا ما أهمل محاسبة نفسه فستفوته فرصة قد تنجيه من عذاب أليم ولهذا حرص أهل البيت (عليهم السلام) على أن يربوّا أصحابهم على محاسبة النفس كلّ يوم.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٥٩، ح٣.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٩٦، ح٧.

أبداً)[1]، وهذه المحاسبة تكون في نهاية السنة أشمل وأوسع كما يفعل الإعلاميون حين يصدرون ملفاً بأهم الأحداث السياسية أو الرياضية أو الاجتماعية التي شهدها العام المنقضي، وعلى كلّ واحد منّا أن يُراجع ملف أعماله في نهاية العام.

الموعظة ليست للمسلمين فقط:

وهذه الموعظة لا أوجهها للمسلمين فقط، بل للاخوة المسيحيين، بل وحتى غيرهم، فقد أدّبنا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) أن نضمر الخير والرحمة ونسعى لتحقيقه لجميع البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، فبركته (صلى الله عليه وآله وسلم) لجميع الإنسانية، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يوصي مالك الأشتر بجميع رعيته حينما ولاّه مصر: (فالناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) لأنّ البشر جميعاً سيقومون للحساب يوم القيامة، ويُسألون عن أعمالهم، فلقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾(مريم:٧١-٧٢)، فنحن نريد لهم النجاة، وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾(النساء:٦٠) فقد غرّر بهم الكثير من أحبارهم ورهبانهم، وزيّنوا لهم المعاصي، وأحلوا لهم الحرام وحرّموا الحلال، وبّدلوا شريعة الله، ثمّ أوهموهم بعقائد فاسدة كفداء السيد المسيح، وصكوك الغفران التي جرأتهم على العصيان، وقد حذّرهم الله تعالى من هذه الطاعة للذين اتخذوا الدين وسيلة لنيل الدنيا التافهة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣٤)، وطاعة مثل هؤلاء شرك بالله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ

---

(١) بحار الأنوار: ٧ / ٣٢٥، ٢٠.

دُونِ اللّه﴾(التوبة:٣١)، وقد فسّرها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم[1] من حيث لا يشعرون)[2].

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي نقي القلب والسريرة يعرف بوضوح أنّ الكثير مما غضّ عنه رجال دينهم أنظارهم هي معاصي لله تبارك وتعالى، ويتساءل سيدنا الأستاذ (قدس سره) في بعض خطبه: هل كان السيد المسيح يشرب الخمر، أو يزني، أو يستبيح دماء البشر من أجل المصالح الشخصية وحب الأنا؟ أم هل كانت مريم العذراء ترتمي في أحضان الرجال وتمشي وسطهم خليعة متبرجة؟ فالمسيحي الصادق يقتدي بهؤلاء الأنقياء العظماء، ولا يجد دستوراً كاملاً للصفات الكريمة التي تلحق بهم إلا في الإسلام إذا أراد لنفسه النجاة.

علة تركيز الغرب الكافر على التأريخ الميلادي:

النقطة الثانية: لقد عوّدنا الغرب على تعظيم ما عنده وإعطائه هالة مقدسة، والتقليل من شأن ما عندنا ليرسخ فينا التبعية له حتى يسهل سلخنا من ديننا وأخلاقنا ومبادئنا، ومن ذلك تركيزه على التأريخ الميلادي وأنّه دقيق ومضبوط بعكس التأريخ الهجري.

وقد انخدع المسلمون بذلك وتركوا التأريخ الهجري والتزموا بالميلادي، وأضاعوا على أنفسهم الكثير من المناسبات الدينية والليالي والأيام الشريفة التي يتضاعف فيها العطاء الإلهي، وهم وإن لم يستطيعوا محوها فبقي شهر رمضان ويوم عاشوراء ومناسبات أخر ماثلة في الأذهان إلا إنّ الخسارة بهذا الإهمال

---

(١) والعبادة هي الطاعة والإتباع وقد تبعوا الرهبان ولم يتبعوا الله تعالى.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٩ / ٢٥٤، عن الكافي.

للتأريخ الهجري ـ الذي ما زال راسخاً ـ كانت كبيرة رغم إنّ الحقيقة هي عكس ما أوهمونا، فإن التأريخ الهجري هو المضبوط الدقيق.

فإن بداية اليوم عندهم هي الساعة الثانية عشرة ليلاً وهو لا معنى له، بينما اليوم الشرعي عندنا يبدأ بطلوع الفجر أو الشمس وينتهي بغروبها، وهو شيء له معنى، كما أن بدايات الشهور عندنا مرتبطة بظاهرة فلكية واضحة، وهي ولادة الهلال، أمّا عندهم فغير مرتبطة بشيء وإنّما هي خاضعة لحسابات واعتبارات؛ لذا وقعت تعديلات كثيرة منها على التأريخ حينما يكتشفون خطأ تأريخهم كما لو لم يصادف يوم الاعتدال الربيعي الحادي والعشرين من آذار (وفي سنة ١٢٦٣ قام روجر باكون بكتابة رسالة إلى البابا كلمنت الرابع شارحاً فيها الوضع، وعلى كلّ حال لم يتم السيطرة على تلك المشكلة إلا بعد مرور ثلاثة قرون، وكان ذلك في شهر تشرين الأول عام ١٥٨٢م، فقد تمّ إسقاط عشرة أيام بجعل الخامس منه الخامس عشر منه وسُمِح هذا التغيير للاعتدال الربيعي عام ١٥٨٢م، أن يصادف الحادي والعشرين من آذار)[1]، (وفي عام ١٩٠٠م صادف الاعتدال الربيعي اليولياني في الثامن من الشهر، وبقي الحال على ما هو عليه حتّى قيام الحرب العالمية الأولى حينما تبنّى الاتحاد السوفيتي التقويم الكريكوري (بإسقاط ١٣ يوماً)، ومن المعتقد أن بعض الكنائس الأرثودوكسية بقيت متمسكة بالسنة اليوليانية؛ فبالنسبة لهم يكون عيد ميلاد المسيح في السادس من كانون الثاني، والذي يصادف في الخامس والعشرين من كانون الأول في التقويم اليولياني المعدل)[2].

---

(١) المواقيت الإسلامية للدكتور محمد إلياس: ١٦.

(٢) المصدر السابق: ١٧.

ما هي الحقيقة التي يخفونها:

والذي أريد أن أُنبّه عليه إنّهم يخفون حقيقة يؤمنون بها جميعاً لكنّهم تواصوا على إخفائها حفظاً لهيبتهم، فإنّه لم يثبت أنّ السنة التي نحن فيها هي (٢٠٠٣م) منذ ميلاد السيد المسيح وإنّما حدّد سنة مولد السيد المسيح كاهن سوري يدعى دونيسيس اكسكيوز سنة ٥٣٢ للميلاد معتمداً على بيانات متفرقة، إذ لا يوجد في الإنجيل تأريخ ميلاد المسيح، ولم تصبح وجهة النظر هذه مقبولة إلا بعد مضي قرنين ونصف القرن، ولسوء الحظ فقد ثبت إن دونسيس كان خاطئاً في حساباته فعند البعض إنّه ولد قبل ذلك بأربع سنين، وعند بعض آخر بسبع عشرة سنة، ويعتقد كذلك أنّ تأريخ الميلاد (يوماً وشهراً) كذلك كان خاطئاً.

هناك شخصين مسميين بالمسيح:

ويذهب بعض المؤرخين - بسبب الحقائق التأريخية المتناقضة - إلى أنّ هناك شخصين مسميين بالمسيح: المسيح غير المصلوب والمسيح المصلوب، وبينهما من الزمان ما يزيد على خمسة قرون، وأنّ التأريخ الميلادي المتداول لا ينطبق على واحد منهما، بل المسيح الأول غير المصلوب يتقدّم عليه بما يزيد على مائتين وخمسين سنة، وقد عاش نحواً من ستين سنة، والمسيح الثاني المصلوب يتأخر عنه بما يزيد على مائتين وتسعين سنة، وقد عاش نحواً من ثلاث وثلاثين سنة[1]، وفسّر السيد الطباطبائي (قدس سره) قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٣١٤، وعلق (قدس سره) قائلاً: على أنّ عدم انطباق التأريخ الميلادي على ميلاد السيد المسيح في الجملة ممّا لم يسع النصارى إنكاره، وهو سكتة تأريخية وأرجع القارئ إلى قاموس الكتاب المقدس مادة (مسيح) ويذكر أحد الشواهد على ذلك ما ورد في كتاب في تأريخ البشر: أنّ رسالة كتبت

وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾(النساء:١٥٧) بقوله: (وربما ذكر بعض محققي التأريخ إنّ القصص التأريخية المضبوطة فيه (عليه السلام) والحوادث المربوطة بدعوته وقصص معاصريه من الحكام والدعاة تنطبق على رجلين اثنين مسمّيين بالمسيح ـ وبينهما ما يزيد على خمسمائة سنة ـ: المتقدّم منهما محقّ غير مقتول، والمتأخّر منهما مبطل مصلوب، وعلى هذا فما يذكره القرآن من التشبيه هو تشبيه المسيح عيسى بن مريم رسول الله بالمسيح المصلوب)[1].

ومن هذا يظهر أن التأريخ المسيحي غير صحيح لا سنة ولا شهراً ولا يوماً، وأنّ توزيع الليل والنهار لا معنى له مقابل الدقة التي يبتني عليها الحساب الشرعي والمرتبط مباشرة بظواهر فلكية معلومة وواضحة للجميع، وهم لهم عدة تقاويم غير متطابقة، بينما نحن لنا تقويم واحد متّفق عليه ومما يساعد على ثبوته وعدم الاختلاف فيه اعتماده بوقت مبكر من تأريخ الإسلام في عهد الخليفة الثاني.

فناء الأشخاص في شخص القائد:

النقطة الثالثة: إنّ ارتباط التأريخ المسيحي بميلاد السيد المسيح (عليه السلام) يعني فكرة حاول قادة الإسلام إزالتها من الأذهان وهي فناء الاتباع في شخص القائد وذاته لا في مبدأه وفكره الذي جاء به، والصحيح هو العكس؛ لأن الارتباط بذات القائد مهما كان القائد عظيماً ـ كالرسل (عليهم السلام) ـ يؤدي إلى نتائج سلبية، عديدة، وتكون المشكلة أعظم لو لم يكن هذا القائد من المعصومين.

سنة ٦٢ ميلادية جاء فيها أنه سأل شيوخ ومعمري المدينة ـ أي أورشليم فلم يعرفوا عنه شيئاً.

(١) الميزان في تفسير القرآن ٥ / ١٣٣.

ومن الأخطاء التي تمخض عنها هذا التقديس للذات: التأليه؛ وهذا تيه عظيم أدىّ إلى الضياع والانحراف لأنهّم ضيّعوا الرسالة التي جاءهم بها الرسول وذابوا في الشخص، لذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصاً على أن لا يقعوا في هذا الخطأ، فعندما دخل عليه رجل فأخذته هيبته (صلى الله عليه وآله وسلم) وارتعدت فرائصه قال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (هوّن عليك؛ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يُعرف الحق بالرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله).

وقد أسّس القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر:٦٥) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(الحاقة:٤٤-٤٦) لذا لم يُسَمِّ أتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمحمديين، وإنّما سماهم المسلمين، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحج:٧٨). كما لم يذكر أتباع السيد المسيح باسم المسيحيين، بل النصارى في موارد عديدة من القرآن الكريم.

بداية التأريخ الإسلامي:

وكاد صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقعوا في هذا الخطأ حينما اجتمعوا لوضع تأريخ لهم، فاقترح بعضهم أن يبدأوا من سنة ولادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنّ أمير المؤمنين (صلى الله عليه وآله وسلم) أقنعهم بأن يبدأوا التأريخ من هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من أجل أن لا يرتبطوا بشخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل بالمبدأ الحق؛ لأن الهجرة بداية حقيقية لتأريخ الإسلام وانتصاره حيث حصلَ فيه المباينة الكاملة بين معسكر الحقّ ومعسكر الباطل الذي هو شرط مهم لتحقيق النصر،

وبهذه المحاولة ربط أمير المؤمنين (عليه السلام) المسلمين بعقيدتهم ومبدأهم وصانهم من الوقوع في تأليه الذوات وتقديسها.

يوم الغدير أعظم عيد:

ولذا كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام وبه تمام الرسالة؛ لأنهّ يوم انتقال ولاية أمر المسلمين من القائد الشخصي وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القائد النوعي، أي كلّ من حمل صفات ومؤهّلات حامل الرسالة فحافظ على ديمومة الرسالة وحمايتها من الإنحراف، وكان يمكن أن تندثر لو ارتبطت بالشخص فمات أو قتل، فهذه فكرة مهمة يجب الالتفات إليها[1].

موجبات احتفالنا بذكرى السيد المسيح (عليه السلام):

النقطة الرابعة: اعتاد خطباؤنا ـ جزاهم الله خير الجزاء وأيّدهم بتأييده ـ أن يحيوا المناسبات الدينية وذكريات المعصومين (عليه السلام)، ومن يتعلق بهم من ذرّية وأصحاب، وهم بذلك يعظمون شعائر الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(الحج:٣٢)، وكلّ هذا صحيح وضروري لكنّني أراهم في غفلة تامة عن إحياء ذكرى السيد المسيح في ميلاده الشريف رغم وجود أكثر من مبرر لذلك غير ما ذكرنا منها:

١ ـ إنهّ من أعظم الرسل ومن أُولي العزم ومن أكرم خلق الله تعالى، وهو نبي رسول معصوم صاحب رسالة إلهية عظيمة، ومنشئ أمة كبيرة، وقد وصفه الله تعالى بأكرم الأوصاف وأشرفها فقد حبى السيدة مريم بنت عمران: ﴿بكلمةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَمِنَ

(١) فأنقذ الناس من الارتباط بالحامل الشخصي وارتبطوا بالحامل النوعي لأنهم إذا ارتبطوا بالشخص فيمكن أن تندرس الرسالة بموت ذلك الشخص.

الْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾، ومؤيداً بروح القدس: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٥ ــ ٤٦ و ٤٨)، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾، (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾(مريم ١٥، ٣١-٣٢).

٢ ــ إن يوم مولده الشريف بما تضمن من معاجز وأسرار إلهية بل كلّ حياته (عليه السلام) من أيام الله التي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتذكير البشر بها، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾(إبراهيم:٥)، وهي مما لا يمكن إنكارها، وقد ذكر القرآن الكريم عدّة منها كإحياء الموتى وإبراء ألأكمه والأبرص ونفخ الروح في الجمادات ونزول المائدة من السماء مما يوجه صفعة عظيمة إلى المادية التي آمن بها مدعو الانتساب إليه ونفوا كلّ ما وراء المادة[1].

المواعظ والحكم في حياة المسيح (عليه السلام):

٣ ــ إنّ حياته الشريفة تضمنت الكثير من المواعظ والحكم والعبر والكلمات التي تحيي القلوب وتطهّر النفوس وتهب للبشرية السعادة والسلام، وقد نقلها لنا أئمتنا (عليهم السلام) بصدق وأمانة، فمن دروسه (عليه السلام) في التواضع أنّه قال لحواريه: (لي إليكم حاجة اقضوها لي. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله! فقام فغسل أقدامهم. فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال (عليه السلام): إنّ أحقّ الناس بالخدمة العالم؛ إنّما تواضعت هكذا لكي ما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى (عليه السلام): بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في

---

(١) إذن فماذا تقولون بمعاجز نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم).

الجبل)[١]، وقصته في توبيخ المعجب بنفسه حيث: (صحبه رجل في سيحه في البلاد ومشى معه على الماء لما قال: (بسم الله) بيقين، فدخله شيء من العجب وأن لا فرق بينه وبين عيسى (عليه السلام)، فرُمِس في الماء، ولما أخرجه عيسى (عليه السلام) قال له: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عزّ وجلّ مما قلت. قال الإمام الصادق (عليه السلام): فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً)[٢].

وأمثلته في تحقير الدنيا وفنائها وزوالها وخداعها مؤثرة في القلوب، وأمّا زهده فيصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) نبراس الزاهدين قائلاً: (وإن شئتَ قلتُ في عيسى بن مريم (عليه السلام)؛ فلقد كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشِبْ، وكان إدامة الجوع وسراجه بالليل القمرَ، وظلاله في الشتاء مشارقُ الأرض ومغاربَها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجةٌ تفتنه ولا ولدٌ يَحزُنُه ولا مال يَلفِتُه ولا طَمعٌ يُذلُّه، دابته رجلاه وخادمه يداه)[٣].

٤ ــ إنهّ ممّن بشّر بالنبي (عليه السلام) وألقى الحجة على اتباعه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحمد فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(الصف:٦).

---

(١) القلب السليم: ٢ / ٢٧٢، عن الكافي، باب صفة العلماء.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ١٥٥، عن الكافي، باب الحسد.

(٣) نهج البلاغة: ٢٢٧، تحقيق صبحي الصالح.

المسيح (عليه السلام) ناصر للإمام المهدي (عليه السلام):

٥ ـ إنّا نحن الإمامية بالذات نرتبط بالسيد المسيح (عليه السلام) برابطة إضافية؛ لكونه الناصر المدخر لليوم الموعود، وهو عنصر مهم في حركة الإمام (عليه السلام)، فالحديث عن السيد المسيح (عليه السلام) جزء من قضيتنا المصيرية أعني يوم الظهور المبارك، وهذا مما ذكرته مصادر الفريقين، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)[1]، وأخرج الصدوق في إكمال الدين عن أبي جعفر الباقـر (عليه السلام): (القائم منّا منصور بالرعب.. إلى أن قال: وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه)[2].

ومدخليته في قضية الإمام (عليه السلام) من عدّة نواحٍ:

أ ـ طول عمره الشريف؛ فإنّه لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفع إلى السماء ويبقى حياً إلى يوم الظهور، فحياته هذه السنين الطويلة حجّة على منكري غيبة الإمام وطول عمره.

ب ـ إذعان الأمم المسيحية وتسليمهم للإمام (عليه السلام)، وهم يشكلون نسبة كبيرة من البشر (وذلك حين يثبت لهم بالحجّة الواضحة أنّه هو المسيح يسوع الناصري نفسه، وأنّ الإنجيل والتوراة إنّما هي هكذا وليست على شكلها الذي كان معهوداً، وأنّ ملكوت الله الذي بشر به هو في حياته الأولى على الأرض قد تحقق فعلاً متمثلاً بدولة العدل العالمية، ولن يبقى منهم شخص من ذلك الجيل المعاصر للظهور إلا ويؤمن به) كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾(النساء:١٥٩).

جـ ـ إنّه نتيجة للأمر الأول سوف يتيسر الفتح العالمي بدون قتال، بل نتيجة للإيمان بالحق والإذعان له، وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك مفصلاً وعرفنا

---

(١) وقد رواه الترمذي وابن ماجة راجع المصادر في تأريخ ما بعد الظهور: ص٥٩١.

(٢) تأريخ ما بعد الظهور، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥٩٥.

أن الجانب الفكري في الفتح العالمي سيكون أوسع بكثير من الجانب العسكري[١]، وهذا ما نرى بوادره اليوم حيث أتاحت شبكات الاتصال العالمية فرصة التعرف على عظمة الإسلام لكلّ البشر بيسر.

د ـ تكفل المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) للقيادة في جانب، أو عدّة جوانب من الدولة العالمية، وتحمله مسؤوليتها كما لو أصبح في مركز مشابه لرئيس الوزراء في الدولة الحديثة، أو تكفّل الحكم في رقعة كبيرة من الأرض أو الدولة العالمية، فإن المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) وإن كان نبياً مرسلاً وليس الإمام المهدي (عليه السلام) كذلك غير أنّ القيادة العليا تبقى موكولةً إلى المهدي، وقد ذكر سيدنا الأستاذ (قدس سره) لذلك عدة وجوه فراجعها[٢].

لماذا ادّخر المسيح (عليه السلام) دون سائر الأنبياء:

واختصاص السيد المسيح بهذا الادخار من دون سائر الأنبياء له سرّ؛ إذ إنّه يكشف عن إن المواجهة الرئيسية المهمة للإمام المهدي (عليه السلام) ستكون مع دول الغرب التي تدين للسيد المسيح (عليه السلام)، فيكون ظهوره وصلاته خلف الإمام (عليه السلام) حجّة ضدّهم ويجردهم من كلّ حق في هذه المواجهة، وعندئذٍ سيذعن المؤمنون منهم للإمام (عليه السلام) لوضوح حقّه (عليه السلام) وباطلهم وهو يكشف عن درجة من درجات الإيمان لدى المسيحيين، إذ أنهّم سيتبعون الحقّ عند اقتناعهم به.

أمّا اليهود الذين سيكونون المحرضّين لدول الغرب ويدفعون المسيحيين نحو المواجهة فإنهّم متمردون على نبيهم (عليه السلام) ولا يطيعونه، فلا ينفع بقاءه لليوم الموعود ويبدو أنهم يومئذ متحكمون في مصائر وشؤون حياة الدول المسيحية، وهذا ما نراه اليوم في تحكم اللوبي الصهيوني في الإدارة الأمريكية،

---

(١) تأريخ ما بعد الظهور، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص٦٠٥.

قال تعالى في بيان الفرق بين اليهود والمسيحيين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ،وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(المائدة:٨٢-٨٦).

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي غير قاسي القلب يتفاعل مع هذا النص، كما تفاعل النجاشي ملك الحبشة مع المهاجرين الأوائل بقيادة جعفر بن أبي طالب ووفّر لهم الحماية والأمان في أرضه، وقال لهم: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا، بعد أن قرأوا عليه سورة مريم.

مشاهد من عبثية الغرب:

النقطة الخامسة: إنّ الاحتفالات التي تجري بمناسبة رأس السنة تتضمن الكثير من التصرفات اللاعقلائية والأفعال الجنونية، وتؤدي إلى إهدار الكثير من الأموال وإلى أضرار كثيرة، كالألعاب النارية وصناعة الدمى الضخمة والزينة المفرطة، والغريب أنهّم يستهزئون بشعائرنا الدينية من صلاة وطواف بالبيت أو رمي الجمرات أو الشعائر الحسينية رغم ما فيها من معاني روحية سامية، وقد انخدع المنبهرون بالصورة الظاهرية اللماعة للغرب، وراحوا يستنكرون هذه الشعائر، وقد عميت أبصارهم عن أفعال الغرب العابثة المجردة من كلّ معنى.

وأذكر لكم نماذج من مهرجاناتهم وقد قلتها في مناسبة سابقة، ففي إيطاليا يقام (مهرجان البرتقال) حيث يتجمع آلاف الناس في الشوارع العامة وتدور عليهم عربة تجرّها الخيول من سنخ عربات العصور الوسطى وتوزع

عليهم البرتقال، ثم تعود هذه العربة مرة أخرى وعلى ظهرها أبطال البرتقال وتنشب الحرب بينهم وبين الآلاف المتجمهرة حيث تشق العربة طريقها بينهم بصعوبة، وسلاح الفريقين البرتقال الذي يترامیان به بكلّ همّة وجدية وكأنهّم يشيّدون بذلك معالم الحضارة التي يتشدقون بها، إنهّ الكفران العظيم بنعم الله تبارك وتعالى وعمّا قريب يخسر المبطلون.

وفي إسبانيا مهرجان سنوي تنطلق فيه الثيران المعدّة للمصارعة من مأواها إلى الملعب الذي يجري فيه السباق، وتخترق شوارع المدينة تعدو بسرعة ويركض بين أيديها وحولها الآلاف من الناس يضربونها وهي ترفسهم وتدوسهم بأرجلها وتمزقّهم بقرونها إلا من يستطيع الهرب والإفلات من بين أيديها، وتصبح شوارع المدينة ساحة حرب وقتال، أية همجية أوضح من هذه؟!

وفي اليابان سباق توضع فيه المئات بل الآلاف من شطائر الطعام على الموائد ويتبارى المتسابقون في ازدراد أكبر عدد ممكن فكانت بطن الفائز قد حصدت (٦٤) شطيرة، فهل هذه الحيوانية من الحضارة؟.

هذا غير ما يفعلون في ملاعب الكرة من جنون وألعاب نارية ومشاجرات لا تستطيع حتى الشرطة فضها وتزهق فيها النفوس وتتلف فيها الأموال، وألعاب أخرى يبتكرونها لا تجد نَظيرها إلا في شريعة الغاب، أفبعد كلّ هذا يأتي هؤلاء الصنائع للغرب ويتهكمون بشعائر الإسلام؟ لا لشيء إلا تنفيذ رغبات أسيادهم، فيصوّرون لنا بشاعة وهمجية الشعائر الحسينية حتى إذا تركناها شنّعوا على مناسك الحج، وهكذا يسلخوننا من إسلامنا شيئاً فشيئاً، يريدون منّا أن نأخذ ديننا من الأعداء فنفعل ما يريدون هم، وماذا يريدون هم؟ قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٢٠)، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ

يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ﴾(البقرة: ١٠٩).

وقبل أيام سمعتم بذلك الكاتب المصري وزوجته الدكتورة الذين يحملان الجنسية الأمريكية وقد استهزأ بمناسك الحج من على صفحات الجرائد، ولما حكم عليه بالسجن قامت قيامة منظمات ما يسمى بحقوق الإنسان للدفاع عنه، فاعتبروا يا أولي الألباب، وافهموا ماذا يراد بكم ومنكم.

خاتمة:

وفي الختام أقول: ليعلم المسلمون أنّ المسيح عيسى (عليه السلام) هو نبيّنا قبل أن يكون نبي هؤلاء الذين ينتسبون إليه، وهو منهم ومن أفعالهم براء؛ فإن المسيح (عليه السلام) ما عُرِف ولا كُرِّم ولا أعطي المقام الرفيع الذي يستحقه إلا في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام)، أما هؤلاء (المسيحيون) بالاسم فقط فقد خالفوه في كلّ شيء، وهو أوّل خصم لهم يوم القيامة حين يجتمع معهم للحساب فيخاطبهم الله تبارك وتعالى بمحضر منهم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة:١١٦-١١٧)، فأين هؤلاء من أخلاقه وتعاليمه (عليه السلام)؟!!!.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله تعالى على محمد وآله الطاهرين.

تفعيل دور المسجد في حياة الأمة من أدوات المواجهة مع الغرب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً والصلاة والسلام على النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الأمور التي ينبغي الاهتمام بها ونحن نستقبل شهر رمضان:

كثيرة هي المواضيع التي يمكن أن نتحدث عنها ونحن نستقبل شهر رمضان:

منها: وظائف ومسؤوليات الحوزة الشريفة في هذا الشهر، كالوعظ والإرشاد وتبليغ الأحكام وقضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم ومعالجة القضايا الفكرية والأخلاقية والاجتماعية التي تواجههم انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة:١٢٢)، وتوجد أمور وقضايا كثيرة يمكن أن يقدمها الحوزوي إلى المجتمع خلال شهر رمضان نبّهنا إلى خطوطها العريضة في محاضرات سابقة.

ومنها: بيان عظمة هذا الشهر الشريف وفضله واختصاص هذه الأمة المرحومة بهذه المنّة العظيمة، وما أعدّ الله للعاملين بطاعته بكلّ أشكالها من الكرامات، بل إنّ لكلّ يوم وليلة في شهر رمضان عطايا ومنحاً خاصة لا تعطى

---

(١) محاضرة ألقيت على حشد كبير من الفضلاء والمبلغين وطلبة العلوم الدينية في مسجد الرأس الشريف بتأريخ ٢٤ / شعبان / ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/١٠/٢١م بمناسبة نهاية التحصيل الدراسي وقرب حلول شهر رمضان المبارك.

في غيره، فعلى المؤمن أن يكون حريصاً على الإتيان بالأعمال الصالحة في جميع أيام الشهر خصوصاً في الليالي الشريفة ومنها العشر الأواخر من الشهر.

وتجد في كتاب (وسائل الشيعة: ١٠ / ٢٤٣، كتاب الصوم ص:١٧٤، (أبواب أحكام شهر رمضان، باب ١، ح٩) حديثاً تفصيلياً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ثواب كلّ يوم بخصوصه، ويقول فيه: (لو علمتم مالكم في شهر رمضان لزدتم لله تعالى ذكره شكراً) ثمّ فصّل (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام، وتضمنّت خطبته (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر جمعة من شعبان التي رواها أمير المؤمنين (عليه السلام) عدداً من المنح الإلهية في هذا الشهر[١].

ومنها: ما ينبغي أن يكون عليه الصائم من سلوك وآداب وصفات، فإن الصوم ليس فقط الامتناع عن الطعام والشراب، و إنّما هو شعار لتربية متكاملة من جميع الجهات وهو ما يسمى بالصوم المعنوي[٢]، وتوجد عدّة كتب في هذا المجال.

لذا حثّ الأئمة (عليهم السلام) أصحابهم على الاستعداد النفسي والروحي لهذا الشهر، روى أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح قال: (دخلتُ على أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في آخر جمعة من شعبان فقال لي: يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة منه فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه[٣]، وعليك بالإقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى

---

(١) الخطبة موجودة في مفاتيح الجنان ووسائل الشيعة: ١٠ / ٢٤٣، ح٩.

(٢) طبع كتيبان لاثنين من الفضلاء في الصوم المعنوي، والآداب المعنوية للصوم ضمن الإصدارات التي كان يشرف عليها ويروجها سماحة الشيخ (دام ظله).

(٣) بل تقصيرك فيما مضى من السنة كلها ما بين شهر رمضان وشهر رمضان الآخر، فعلنا ما فعلنا فنحتاج إلى تأمل.

الله من ذنوبك، ليقبل شهر الله عليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تدعّن أمانة في عنقك إلا أدّيتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنباً أنت ترتكبه إلا أقلعت عنه، واتق الله وتوكّل عليه في سرائرك وعلانيتك، ومن يتوكل على الله فهو حسبُه إنّ الله بالغ أمره، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: (اللهّم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه) فإن الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة شهر رمضان)[1].

ومنها: التنبيه إلى ما يحصل من تصرفات وظواهر سلبية مخالفة لتعاليم الدين ولا تناسب المجتمع المتدين: كإضاعة الوقت الكثير في لعبة المحيبس، وإقامة المباريات، والمراهنات لها، وظاهرة (الماجينة) وما تتخلله من محرمات، وقضاء الليالي الشريفة في متابعة البرامج والمسلسلات التي تهدم الدين والأخلاق، وظاهرة الإفطار العلني في مطاعم المفاطير وغيرها، والخروج بعد الإفطار إلى أماكن التسكّع والاختلاط غير الشرعي وغيرها.

هذه المواضيع وغيرها يتناسب طرحها في مثل هذا اللقاء المبارك على أعتاب شهر رمضان، لكنّي سوف لا أتحدث عنها لأنها مبيّنة بالتفصيل في كتاب (شهر رمضان والعيد بين تقاليد العرف وأحكام الشريعة)، وسأختار لهذا اللقاء موضوعاً هو:

شكوى المسجد:

شكوى المسجد[2]: الذي ورد في الحديث الشريف عن الصادق (عليه السلام) قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله،

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ٥٦.

(٢) عنوان كتاب مطبوع وقد لخصنا في هذه المحاضرة كثيراً من أفكاره، والتفصيل هناك فينبغي مراجعته.

وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه)[1]، ولهذا الاختيار مناشئ:

١ ـ محاولة الخروج من عهدة هذه الشكوى وتجنّب خصومة المسجد؛ فإن من كان خصمه المسجد يكون موقفه عصيباً، وقد جربنا فيما سبق أننا حينما عرضنا (شكوى القرآن) تحرّك المجتمع والحوزة لرفع بعض التقصير عنه باتجاه القرآن بأشكال متعددة، كالالتزام بختمه مرتين على الأقل في السنة، وفتح دروس تعليم القرآن قراءة وتفسيراً، وانتشار المسابقات القرآنية، وبيان عظمة القرآن وأسراره وأثره في إصلاح النفس والمجتمع، واليوم نريد أن نحاول رفع بعض التقصير باتجاه المسجد.

لماذا نعود إلى التقصير بعد انتهاء شهر رمضان:

٢ ـ إن شهر رمضان له تأثير كبير في تحفيز الناس إلى طاعة الله تعالى، ومن أشكال هذه الطاعة الحضور في المساجد وأداء صلاة الجماعة وغيرها من الشعائر الدينية، وتشهد المساجد نشاطاً ملحوظاً بحيث إنّ بعضها تقام فيه حتى صلاة الصبح جماعة، وهذا التوجه إيجابي بالتأكيد، ولكن لماذا نعود إلى التقصير بعد انتهاء شهر رمضان؟ وقد قلنا في محاضرة سابقة: إنّ صلاحنا وهدايتنا لا ينبغي أن تكون موجودة مادام المؤثر ـ وهو هنا شهر رمضان ـ موجوداً، فإذا زال المؤثر انتهى كلّ شيء، كذاك الشاعر الذي يقول:

رمضان ولّى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

أو ما نسمع من أن بعض النساء السافرات تتحجب في شهر رمضان فقط، أو شاب يترك العادة السرية في هذا الشهر فقط وغيرها، فمثل هذا التأثر بدواعي وأسباب الطاعة ناقص، ولا يكون ذا قيمة كاملة إلا إذا رسخ وتغير جوهر الإنسان وحقيقته به وأصبح ملكة راسخة، وإلا فإن مثل هذه المرأة التي

---

(١) الخصال: ١ / ١٤٢.

تؤمن بوجوب الصوم، ولا تؤمن بحرمة السفور ستقع في التبعيض في الإيمان بالله الذي استنكره في القرآن الكريم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة:٨٥). فلنستفد من تربية شهر رمضان لنا على قوة الإرادة وعلو الهمّة والعزم وقهر النفس الميالّة إلى اتباع الهوى والشهوات في غيره من الشهور، ولنحافظ على مكاسب هذا الشهر العظيم[1].

٣ ـ إنّ بلدنا وأمتنا يتعرضان لهجمة شرسة من أعداء الإنسانية والخير والعدل، وهم الصهاينة والأمريكان وذيولهما، ونحن إذا قايسنا إمكانياتنا المادية معهم فإن صفقتنا خاسرة بالتأكيد، فبماذا نواجههم؟ نواجههم بالإيمان الراسخ بالله والطاعة الكاملة لشريعته، فنحن إنّما نكون أقوياء بالله تبارك وتعالى، ولا يكون الله معنا إلا إذا كنّا معه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:٧).

العلاقة بين النصر على النفس والنصر على الأعداء:

والقرآن حريص على تثبيت هذه العلاقة بين النصر المادي على الأعداء الخارجيين والنصر المعنوي على النفس، وبالمقابل فإنهّ يُرجع سبب الهزيمة الخارجية إلى الهزيمة الداخلية أمام النفس والشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(آل عمران:١٥٥)، فإنهم بسبب ما ارتكبوا من

---

(١) هذا واحد من ثمار شهر رمضان إنّك إن كانت لك القدرة على ترك المباحات وهي الطعام والشراب فمن باب أولى أن تكون منك الإرادة على ترك المحرمات، فلنستفد من هذا الشهر على تقوية الإرادة وتهذيب النفس المّيالة للشهوات.

الذنوب والمعاصي استطاع الشيطان أن يجد منفذاً إليهم ويُضعف قدراتهم على المواجهة فكانت الهزيمة.

وأهم مظهر وشعار للعودة إلى الله تبارك وتعالى إعمار المساجد بصلاة الجماعة والدعاء والذكر والتوسل إليه تبارك وتعالى وإقامة الشعائر الدينية، فإن من كانت له حاجة عند أحد قصده إلى بيته ليقضيها له، والمساجد بيوت لله تبارك وتعالى، روي إنّ في التوراة مكتوباً: (إنّ بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لمن تطهّر في بيته ثم زارني في بيتي، وحقّ على المزور أن يكرم الزائر)[1]، فاقصدوه تبارك وتعالى ليدفع عنّا العدوان ويرفّع عنّا الحصار الظالم والجور، ولنأخذ درسنا من قوم يونس (عليه السلام)؛ فإنهم لما عادوا إلى الله تبارك وتعالى رفع عنهم البلاء ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾(يونس:٩٨)، وقد جرّب المجتمع أنهّ كلمّا يقترب إلى الله تبارك وتعالى فإنه يحظى برحمة منه وبركات لم يكن يتصورها[2].

ومما يثير السخرية ما نراه فيما يسمّونه بالمظاهرات التي تخرج للتنديد بالعدوان الأمريكي والصهيوني وهم يلبسون الملابس الأمريكية، ويستعملون البضائع الأمريكية، ويأخذون عاداتهم وتقاليدهم من الأفلام والمسلسلات الأمريكية، وينظّمون حياتهم على نمط الحياة الأمريكية ويسمّون أبنائهم بالأسماء الأمريكية، إنّ هذا من المضحك المبكي، ولا أريد أن أطيل فيه فله محل آخر، لكنّ محل الشاهد إنّ الردّ الحقيقي على العدوان يكون بالعودة إلى الله تبارك وتعالى وإعمار المساجد وحضور الجميع فيها.

---

(١) مستدرك الوسائل: ١ / ٢٩٨.

(٢) ومن ثمار هذه الحركة المباركة زوال الطاغية المقبور صدام بعد ذلك بأشهر في نيسان/٢٠٠٣ وهو أمر كان ميئوساً منه في الحسابات الطبيعية إلا أن يشاء ربي شيئاً.

المعنى الحقيقي لأعمار المساجد:

ولو قرأنا حديث الشكوى آنف الذكر لوجدنا أنّ الإعمار المطلوب هو الإعمار المعنوي لها بطاعة الله تعالى بكلّ أشكال الطاعة؛ لأنهّا فسّرت الخراب بعدم صلاة أهله ـ أي المنطقة السكنية التي تحيط به فيه ـ بل إن نفس استعمال كلمة (خراب) يعني إنهّا مقابل الإعمار المعنوي، ولو أراد ما يقابل الإعمار المادي لاستعمل كلمة (الهدم)، وفي اللغة ما يشهد لذلك فنقول: بيت عامر أي بأهله وساكنيه مقابل بيت خراب أي خلا من ساكنيه وإن كان ماثلاً للعيان وليس منهدماً، لذا أعطى القرآن أوصافاً للذين يعمرون المساجد لا تجدها في الكثير ممن يبنون المساجد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّه مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الأخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(التوبة:١٨).

حكم الذين يتسببون في تعطيل المساجد:

وحذّر بشدةٍ الذين يتسببون في تعطيل المساجد ومنعها من دورها الاجتماعي والديني، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّه أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(البقرة: ١١٤). وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في شكوى المسجد قال: (شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها فأوحى الله إليها: وعزّتي وجلالي لا قبلتُ لهم صلاة، ولا أظهرتُ لهم في الناس عدالة، ولا نالتهم رحمتي، ولا جاوروني في جنتّي)[1].

وقد وقف الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) موقفاً شديداً ممن كان يقاطع المسجد، أو لا يحضر صلاة الجمعة أو الجماعة، واستنكر ذلك منهم أشدّ الاستنكار، فعن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، قال:

---

(١) بحار الأنوار:٨٠/٣٤٨.

(اشترط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: لينتهيّن أقوامٌ لا يشهدون الصلاة، أو لآمرنّ مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم آمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي (عليه السلام) فليحرقّن على أقوامٍ بيوتهم بحزم الحطب لأنهّم لا يأتون الصلاة)[١]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قومٍ لا يحضرون الصلاة معه في المسجد: (ليحضرنّ معنا صلاتنا جماعةً أو ليتحولّنّ عنّا ولا يجاورونا ولا نجاورهم)[٢]، ولا يسمح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأيّ عذر يمكن علاجه عن الحضور إلى المسجد، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (همّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإحراق قومٍ في منازلهم كانوا يصلّون في منازلهم ولا يصلّون الجماعة، فأتاه رجل أعمى فقال: أنا ضرير البصر، وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): شُدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة)[٣]، وأنا لا أريد أن أجعل الدافع إلى الحضور في المساجد هو الخوف من هذه التهديدات الإلهية فهذه عبادة العبيد، ونحن نريد أن نرقى بعبادتنا إلى عبادة الأحرار الذين يأتون الأعمال لقناعتهم بأنّها حقّ وخير وكمال ولأنهم يحبون ما يحبه الله تبارك وتعالى، لا طمعاً في ثواب ولا خوفاً من عقاب.

فوائد الحضور إلى المسجد:

ولتحصيل هذه القناعة نلفت النظر إلى الفوائد التي يجنيها الفرد والمجتمع من الحضور في المساجد وأعمارها، وهي مستفادة بشكل أو بآخر من الحديث الشريف، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من اختلف إلى المساجد أصاب

---

(١) المصدر السابق: ٨/٨٥.

(٢) المصدر السابق: ١٤.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب صلاة الجماعة، باب٢، ح٩.

إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياءً)[1]، ويمكن تقسيم هذه الفوائد على مستويين نتناولها باختصار:

المستوى الأول: على الصعيد الفردي وتنتظم في عدّة جهات:

١ ـ الجهة الأخلاقية والروحية: باعتبار أنّ هذا العمل فيه طاعة لله تبارك وتعالى وذكر له ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:٢٨)، فيوفّر فرصة للعبد المؤمن في التقرب إلى الله سبحانه والرقي في مدارج الكمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من أقام في مسجد بعد صلاته انتظاراً للصلاة فهو ضيف الله، وحقّ على الله أن يُكرم ضيفه)، وكلٌ منّا يحس حالة السكينة والطمأنينة وسمو الروح وهو يدخل هذه المشاهد المشرفة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنّة، لأنّ الجنّة فيها رضى نفسي، والجامع فيه رضى ربي)[2].

٢ ـ الجهة التربوية: فإن المسجد أحد المراكز التي يتلقى الإنسان فيه تربيته كالبيت والمدرسة، بل إنّ ما يناله الفرد من التربية في المسجد أهم وأكمل باعتباره متمحضاً في الخير، ولا يتصور فيه الانحراف والزيغ كالذي يمكن في البيت أو المدرسة، وإنّ الكثير من المؤمنين لم يحصل على تربيته فيهما لخلوهما من الصلاح، وإنّما نالوا تربيتهم في المسجد، ومهما تراجع دور البيت والمدرسة في تنشئة الجيل نشأة صالحة فإن المسجد باقٍ يؤدي وظيفته، كما أنّ هناك بعض الجرعات المعمقة تعجز عن إعطائها الأسر الاعتيادية لأبنائها فيضطلع بها المسجد الذي ما زال يركّز في نفوس مرتاديه حب الله والتجرد عن الدنيا ونبذ العادات السيئة كالكلام الفاحش والتنابز بالألقاب والمزاح المهين والتغلب على

---

(١) بحار الأنوار: ٣٥١/٨٥.

(٢) المصدر السابق: ٣٦٢.

الأمراض النفسية كالبخل والحرص والغرور والغضب والتكبر والعجب والرياء وحب النفس، والتحلي بالأخلاق الفاضلة كالإيثار والصبر والحلم والشجاعة والكرم والعطف واللين والتسامح والتواضع وحب الخير للآخرين، وبهذا تكتمل شخصية الفرد المؤمن وينعكس ذلك واضحاً منه على علاقاته الاجتماعية وعلى أسرته، بل نراه يرجع إلى أسرته التي لم تعطه ما أعطاه المسجد فيفيض عليها مما رزقه الله من فيوضاته في المسجد، والشواهد على ذلك كثيرة في مجتمعنا.

٣ ـ الجهة العلمية والثقافية: فإن المسجد سيفتح لمرتاديه فرصاً عديدة للاستزادة من العلم النافع والثقافة المفيدة من خلال الدروس والمحاضرات الفقهية والأخلاقية والعلمية التي تعقد في المسجد، أو الاستفادة من إصدارات ونشرات العلماء والمفكرين التي تصل إلى المسجد، أو إجابة الأسئلة المختلفة التي تصل إلى أمام المسجد، أو استعارة الكتب الموجود فيه، أو من خلال اللقاءات والحوارات التي تدور مع المثقفين والواعين من مرتادي المسجد[1].

٤ ـ الجانب الانتمائي والارتباطي: فإن الإنسان بطبعه يميل إلى الانتماء للجماعة ولا يستطيع أن يعيش وحده، فلا يحس بوجوده الكامل إلا من خلال انتمائه للجماعة، فترى أحدهم ينتمي إلى جماعة الرياضيين ومتابعي الكرة، وآخر إلى رواد الفن واللهو، وآخرون إلى الاتجاهات السياسية والفكرية وغيرها، وأيّ انتماء أفضل من ذلك الذي يحقق له وجوده في المسجد فيشعر بأنهّ عضو في هذا الكيان المقدس الذي رأسه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأركانه أمير المؤمنين والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) من ولده وأفراده المتبعون لسيرتهم من الراضين المرضيين الفائزين، والجمع تحت ظل ورعاية

---

(١) فكثير من الشباب هم الذين أثرّوا في آبائهم بسبب المسجد فأصبحت العملية معكوسة فالمسجد هو الذي يربي.

وولاية الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾(محمد:١١)، فليخسأ الذين لهم أولياء من دون الله تبارك وتعالى.

المستوى الثاني: الفوائد الجماعية

إنّ المجتمع هو مجموع الأفراد، فأيّ صلاح يصيبه الفرد مما ذكرناه فإن مردوده الإيجابي يعود على الجماعة، ويضاف إلى ذلك عدة فوائد يجنيها المجتمع:

١ ـ تقوية الأواصر الأخوية الإيمانية بين الأفراد وإحساسهم بقوة الإسلام ووحدة صف المسلمين، وتوحي بهذا صلاة الجماعة والجمعة والعيدين التي هي من أبرز مظاهر قوة الإسلام والمسلمين وتدل على اهتمام الإسلام وتشريعاته بنظام الكيان الموحد والروح الجماعية.

٢ ـ الترابط الاجتماعي بين المسلمين من خلال تعرّف بعضهم على بعض، وإليه أشار في حديث الثمانية: (أخاً مستفاداً في الله) والتواصل والتزاور بينهم، والمساعدة في قضاء حوائجهم، وحل مشاكلهم، والتفكر في المشاريع الخيرية ذات المصلحة العامة كبناء المدارس والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية وشق الطرق والأنهار.

٣ ـ حصول الاستقرار والسكون في نفس الإنسان المؤمن عند لقائه بإخوانه في المسجد، ويدلّ عليه قول الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد).

٤ ـ تحقق الفرصة الواسعة لممارسة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإليها أشار حديث الثمانية: (أو كلمة تردُّه عن ردى أو يسمع كلمة تدلّه على هدى).

٥ ـ يعتبر المسجد المشخّص الأول لما موجود في المجتمع من سلبيات لأنه ملتقى كلّ الطبقات، وإليه ترد جميع أنواع السلبيات والمشاكل، وبذلك

فالتوجيهات بخصوص هذه المشاكل تصدر منه، والمجتمع يكون ميدان تطبيق ما يأمر به المسجد.

٦ ـ اطلاع المسلمين على القضايا والأحداث الآنية التي تهمهم ومواكبتها خاصة تلك التي تهدد كيان الإسلام ووحدته، لذا فالمسجد يربّي المجتمع على الاهتمام بأمور المسلمين، وقد ورد في الحديث: (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[1].

٧ ـ يمثل المسجد دعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قال أحد الغيورين على الإسلام والمسلمين: تربط الأمة الإسلامية ثلاث أواصر (تجتمع في المساجد)[2]: إله واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة يفدُ إليها المسلمون من أقطار الأرض كلّ عام ليعبدوا هذا الإله الواحد بتلك الشريعة الواحدة على أرض واحدة هي أرض الوطن الروحي، وهكذا تجسدت وحدة العقيدة ووحدة الشريعة ووحدة الوطن الأعلى ليذكر المسلمون إنهّم وإن تفرقت أقطارهم واختلفت أنسابهم وألسنتهم وألوانهم، تجمعهم جامعة الدين والله والوطن، وأنهّ إذا جدّ الجد وجب أن يضحي كلّ فريق منهم بمصالحه الخاصة في سبيل المصلحة المشتركة.

٨ ـ يمثل المسجد جهة إعلامية مرعبة لأعداء الإسلام، وذلك لأنهّ المبرز لنقاط القوة في الدين الإسلامي، والتي تميزه عن باقي الأديان والاعتقادات والأيديولوجيات، وهو بذلك ليساهم بشكل فعال في تحسين سمعة الدين

---

(١) تقدم ذكر مصدره.

(٢) هذه الأفكار كلها ملخصة من كتاب شكوى المسجد وإنما أخذتها لأني اعلم أن كثيراً منكم لم يقرأه ولم يلتفت إليه بالرغم من أهميته فكتاب (شكوى المسجد) يحتاج إلى شكوى.

الإسلامي، وترغيب أفراد باقي الأديان للدخول فيه، وقد اعتنق كثيرون الإسلام لمّا شاهدوا مساجد المسلمين وشعائرهم ومشاعرهم[1].

٩ ـ المسجد وسيلة مهمة لتقليل الفوارق الطبقية الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع، ولعل أوضح مصداق من المساجد في تطبيق هذه الفائدة هو المسجد الحرام وذلك أثناء مراسيم الحج حيث اللباس الواحد والحركة الواحدة.

هذه الفوائد وغيرها أراد أن يصوِّرها لنا الإمام السجاد (عليه السلام) بما رواه حفيده الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن علي بن الحسين (عليه السلام) استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خزّ ومطرف خزّ وعمامة خزّ وهو متغلف بالغالية، فقال له: جُعِلتُ فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين؟ قال: إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخطب الحور العين إلى الله عزّ وجلّ).

تكاليف المجتمع تجاه المسجد:

فما هو تكليف المجتمع تجاه هذا المكان المقدس الذي يُنسب إلى الله تبارك وتعالى؟ حيث تستفاد من الكتاب والسنة عدّة تكاليف:

١ ـ إعمار المساجد بقلوب طاهرة ونفوس صافية متعلقة بالله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم (عليه السلام): قل للملأ من بني إسرائيل لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة)، وبهذه الأوصاف والتي ذكرتها الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّه مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الأخرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(التوبة:١٨) استحق عمّار المساجد

---

(١) تقرأ قصصاً كثيرة عن الذين اعتنقوا الإسلام كما في كتاب (لماذا اخترنا الإسلام؟) للسيد محمد رضا الرضوي، وهناك الكثيرون ممن دخل الإسلام تأثراً بمشاعر المسلمين داخل مساجدهم.

عدّة كرامات، أحدها: إنّهم بهم يُدفع البلاء عن أهل الأرض، وإذا أردنا أن نفهم الإعمار فهماً معنوياً فإن المسجد هو القلب؛ لأنهّ بيت الله وحرم الله وإعماره بتطهيره وتخليصه مما سوى الله تبارك وتعالى.

٢ ـ الحث على بناء المساجد ولو بأبسط صورة، فعن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعتُ أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، قال أبو عبيدة: فمرّ بي أبو عبد الله (عليه السلام) في طريق مكة وقد سويّتُ بأحجار مسجداً فقلتُ له: جعلت فداك نرجو أن يكون هذا من ذاك؟ قال: نعم)[١]، وفي حديث: (من أحب أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فليبنِ المساجد)[٢] بشرط أن تكون نيّة البناء خالصة لله تعالى، قال عزّ من قائل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ، أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:١٠٨-١٠٩)، وهذا الشرط وهو تأسيس المسجد على التقوى هو سرّ الفرق والاختلاف بين المساجد الإسلامية بعضها مع بعض من جهة، وبينها وبين دور العبادة في الأديان الأخرى كالكنائس والأديرة من جهة أخرى.

٣ ـ الحثّ على السعي إلى المساجد، ففي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (من مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الأرضين السابعة)، وفي حديث آخر عنه (عليه السلام): (إن له بكل خطوة حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات).

---

(١) الحدائق الناظرة: ٧ / ٢٦٤.

(٢) بحار الأنوار:٨/١٤٤.

٤ ــ التعاون مع المصلين وإمام المسجد في تحقيق الثمرات التي ذكرناها فيما سبق.

٥ ــ تطبيق الأحكام الشرعية للمساجد وهي على مستويات، فبعضها أحكام إلزامية؛ كحرمة تنجيسه، ووجوب تطهيره إذا تنجس ولو ببذل المال، وحرمة التصرف في موقوفاته ببيع ونحوه إلا في الموارد التي ورد الإذن الشرعي بها، وحرمة دخول الجنب والحائض ونحوهما، وحرمة إخراج أجزائه، وبعضها غير إلزامية إلا إنهّا ملزمة أخلاقياً؛ كالصلاة فيه جماعة، وأن يكون أوّل الداخلين إليه وآخر الخارجين منه، والتطيب ولبس الثياب الجيدة، وأن يكون بدنه نظيفاً ليس فيه ما ينفّر الآخرين، والدخول بالقدم اليمنى والخروج باليسرى، وصلاة ركعتي تحية المسجد عند الدخول، ويكره النوم إلا لضرورة، وتمكين الأطفال والمجانين، والخوض في أمور الدنيا، ويكره رفع الصوت إلا بدعاء أو آذان أو قرآن.

وظائف الحوزة لتفعيل دور المسجد في حياة الأمة:

وفي مقابل ذلك يجب على الحوزة الشريفة أن تؤدي دورها في إحياء المساجد وتفعيل دورها في حياة المجتمع من خلال عدة نقاط:

١ ــ إشغال كل مسجد مهما كان بسيطاً ونائياً بإمام يقيم فيه الشعائر، وإذا خلت منطقة أو ناحية من مسجد فيمكن اتخاذ غرفة كبيرة في أحد البيوت مما يعرف بالمضيف أو الديوانية أو غرفة الاستقبال وتتخذ لها باب خارجية تفتح للمصلين في أوقات الصلوات ولإقامة الشعائر الدينية وتجهيزها بمكبر صوت لرفع الآذان، ولا أعتقد أنّ هذا يكلّف شيئاً يذكر في قبال ما أعدّ الله لفاعله من الخيرات والبركات.

٢ ــ الحرص على إقامة صلاة الجماعة خصوصاً المغرب والعشاء وكلّ الفرائض اليومية وفي العيدين وعند حصول الخسوف والكسوف، ولقد ثبت

بالتجربة أنّ المسجد الذي تقام فيه صلاة الجماعة يكون أكثر فاعلية واجتذاباً للناس من المسجد الخالي منها، وهم على حق في ذلك من أكثر من جهة:

أ ـ الثواب العظيم الذي أعدّ للمصلي جماعة بحيث إذا بلغ عدد المصلين عشرة فلا يحصي ثواب الجماعة إلا الله تبارك وتعالى.

ب ـ إنّ وجود إمام الجماعة يلزم منه تحقيق فوائد كثيرة كإجابة الاستفتاءات وقضاء الحوائج الاقتصادية والاجتماعية وإلقاء المحاضرات في الوعظ والإرشاد وتبليغ الأحكام.

٣ ـ اختيار إمام الجماعة المخلص لله تبارك وتعالى الحريص على المصالح الاجتماعية أكثر من مصلحة نفسه، وأن يكون ذا فضيلة علمية ليستطيع تلبية احتياجات المجتمع الفكرية والفقهية والثقافية[1]، وأقل ما يجزيه من النشاط هو إلقاء محاضرة في الأسبوع مرة تطبيقاً للحديث الشريف: (أفٌ لرجل لا يفرّغ نفسه ولو في كلّ جمعة[2] ـ أي أسبوع ـ ساعة ليتفقه في الدين)، ولما كانت فرصة القراءة والتفقه ليست متاحة لكلّ أحد لأسباب شتى فعلى إمام المسجد توفير هذه الفرصة للمجتمع، وبذلك فهو يعينهم على امتثال أمر الإمام، فإن دوره في المجتمع، يتمثل بتقريب الناس إلى طاعة الله تبارك وتعالى بتكثير فرصها وفتح المزيد من أبوابها، وتقليل فرص المعصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ إحياء الشعائر الدينية ومناسبات أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً، وعدم الاكتفاء بشهر رمضان وشهر محرم، وأؤكد هنا على ضرورة إقامة المجالس

---

(١) لذلك نحن ليس مع كلّ من أخذ قسطاً من العلم وقال أرُيد مسجداً الا بعد أن يصل إلى مستوٍ معتد به ليكون عطائه للمجتمع نافعاً ومثمراً ومن اجل ان لا يكون متورطاً بهذه المسؤولية الكبيرة فهو يحاول إصلاح الناس بفساد نفسه.

(٢) كان سماحة الشيخ يلقي خطبة أسبوعية بعد صلاة الظهر يوم الجمعة في جامع حي الكرامة في النجف حيث كان يؤم الجماعة.

في المساجد[١] لا في البيوت لعدّة أمور، فهي أبعد عن الرياء والعجب ويكون الحضور فيها خالصاً لله لا مجاملة لأحد، وفيها إعطاء أهمية للمسجد في حياة الناس، ولاقترانها بصلاة الجماعة عادة، ولأنها اعظم أجراً لما ذكرنا من أنّ الجلوس في المسجد عبادة.

٥ ــ إقامة المسابقات الدينية والثقافية خصوصاً في شهر رمضان وليالي وأيام الجمع، وتعيين الجوائز للفائزين، وهذا يحقق أكثر من ثمرة:

أ ــ حثّ المؤمنين على قراءة الكتب والازدياد من العلم والمعرفة ليكونوا بمستوى المسابقات.

ب ــ حثّهم على الحضور في المساجد لما في جو المسابقات من متعة وفائدة وتسلية.

٦ ــ وضع لوحة إعلانات يسجل فيها كلّ يوم شيء جديد، كحديث شريف له ثمرة اجتماعية أو أخلاقية أو عقائدية، أو تدوّن فيها بعض الأحكام الابتلائية، أو استفتاءات مستحدثة، أو خبر نافع عن الحوزة، أو عن إصدار جديد، أو إلفات النظر إلى حالة اجتماعية منحرفة، أو معاملة باطلة تجري في السوق وتصحيح ذلك وفق الضوابط الشرعية، وأي شيء آخر يشدّ الناس إليها ويجعلهم في تفاعل مستمر مع المسجد.

٧ ــ إنشاء حلقات تعليم القرآن الكريم قراءةً وتفسيراً وحلقات دروس في الفقه والعقائد والأخلاق والتأريخ وغيرها من العلوم المفيدة.

٨ ــ تأسيس مكتبة ولو بسيطة في كلّ مسجد تضم مجموعة من الكتب الدينية والثقافية التي يحسُن بالمسلم الإطلاع عليها.

---

(١) كان سماحة الشيخ يعقد مأتماً أسبوعياً بعد صلاتي المغرب والعشاء مساء الأربعاء، وفي ذكرى شهادة المعصومين (عليهم السلام) والعشرة الأولى من محرم الحرام ويجلب لذلك عدداً من الخطباء.

وأنت ترى إنّ المسؤولية متبادلة بين المجتمع والحوزة فإن بعضهم يكمل بعضاً، فالحوزة ترشد المجتمع وتوجهه إلى طريق الصلاح، والمجتمع يطبّق ويمتثل ويمارس دور الشاهد على الحوزة ليقيّمها هل أدّت دورها كما ينبغي.

انحسار عدد المصلين في المساجد... الأسباب والعلاج:

وإذا أردنا أن نعالج مشكلة انحسار عدد المصلين في المساجد المؤدي إلى تعطيلها فلا بد أولاً من دراسة وتحليل أسباب هذه الظاهرة، وهي عديدة منها:

١ ـ قلّة عدد طلبة الحوزة الشريفة المؤهلين لتمثيل المرجعية في المناطق المختلفة وأداء وظيفتهم الشرعية.

٢ ـ سوء تصرف بعضهم، أما بالتوسع في المعيشة والترف، أو عدم سعة الصدر، أو ارتكاب أمور يأباها المتدينون مما يوجب نفور الناس وإعراضهم عنهم والتشكيك فيهم.

٣ ـ المبالغة في فهم (العدالة) المشترطة في إمامة الجماعة بحيث تقرب عند البعض من العصمة، فيشككون في عدالة من يتقدم لإمامة الصلاة؛ لأمور لا تضر بالعدالة خصوصاً مع الاستغفار.

٤ ـ النفور من تصرفات بعض المؤذنين والخدمة ومتولي المساجد من قبيل كثرة ما يطالب به من تبرعات لشؤون المسجد أو سوء أخلاقهم، لأنّ اغلبهم من الجهّال، ويجد في هذه الوظيفة نحواً من أنحاء التسلط فتنطلق نفسه الأمارة بالسوء.

٥ ـ خلافات شخصية مع إمام الجماعة أو بعض الموجودين في المسجد.

٦ ـ نزوع النفس الإنسانية إلى اتباع الهوى واللعب واللهو والترفيه، ولاشك إنّ فترة الحضور في المسجد تحمل معاني الجد والالتزام والانضباط.

٧ ـ قلّة الوعي الديني لدى المجتمع وعدم التفاته إلى أهمية الحضور في المساجد والفوائد المترتبة عليه.

٨ ـ تفشي الإشاعات والبحث عن عيوب ونقائص إمام الجماعة ولو كانت وهمية أو كانت قديمة وتاب عنها الرجل.

٩ ـ تعقيد متطلبات الحياة مما أوجب على الإنسان أن يفرّغ جزءاً كبيراً من وقته للعمل، فقد يرى إن الحضور في المساجد وظيفة (العاطلين) ويكفيه هو الحضور يوم الجمعة فقط أو في شهر رمضان.

معالجة أسباب انحسار عدد المصلين:

وتوجد أسباب أخرى غيرها يدركها المتأمل، كما إنّ بعض المناطق تختص بأسباب دون غيرها، وما دامت معرفة السبب نصف الحل فيمكن التوصل إلى بعض الحلول ومنها:

١ ـ زيادة الوعي الديني والالتفات إلى الفوائد والآثار الإيجابية للتردد على المساجد في الدين والدنيا.

٢ ـ أن يكون سلوك أئمة الجماعة والمتصدين للمسؤوليات الاجتماعية نظيفاً عفيفاً موافقاً للصورة النقيّة المشرقة لأئمة الإسلام، وبين أيدينا سير ناصعة لهم، وما علينا إلا الاقتداء بها وإتعاب النفس في تطبيقها، ولو أدّى إلى حرمان النفس من بعض مشتهياتها فإن ذلك في عين الله سبحانه ورعايته ولطفه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١)، وهذا النهي شامل حتى للمباحات مادام يؤدي ذلك إلى حزازة في قلوب الناس وامتعاض وسوء ظن.

٣ ـ توجيه الأنظار إلى الآخرة وطلب الكمال فيها وعدم الاقتصار على طلب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(القصص:٧٧).

٤ ـ أن يتولى إمام المسجد شؤون المسجد بيده وبإشرافه، ولا يسمح بالتصرفات المنفرّة للخادم والمتولي والمؤذن.

وظائف إمام المسجد:

ولكي يؤدي المسجد دوره لا بد أن يعي إمام المسجد وظائفه ومسؤولياته ويقوم بها خير قيام، ولا تنحصر وظائفه بالدينية فقط كإقامة صلاة الجماعة، والإجابة عن الأسئلة الفقهية، وحل الشبهات العقائدية، وإحياء الشعائر الدينية، وإلقاء المحاضرات فيما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وإنّما عليه وظائف اجتماعية كمشاركة الناس في أفراحهم وأحزانهم، وحلّ مشاكلهم على المستوى الفردي كالخلافات العائلية، أو اجتماعي كالخلافات بين عشيرتين مثلا، وألاّ يبخس الناس حقوقهم ويجامل بعضهم على حساب بعض، وأن يسعى لمعالجة الظواهر السلبية التي تسود المجتمع بالطرق الناجحة والمؤثرة، وكلّ ذلك يعتمد على مدى إدراكه ووعيه الاجتماعي، وحسن تطبيقه لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يسعى في المشاريع الخيرية وأهمها تزويج المؤمنين[1].

وعليه وظائف اقتصادية كقبض الحقوق الشرعية وإيصالها إلى الحوزة الشريفة، أو توزيعها على مستحقيها بعد تحصيل الإذن، ورعاية الفقراء والمعوزين ومساعدة العاطلين عن العمل بإيجاد فرص عمل لهم، أو تقديم القروض لتسهيل أمورهم، وعليه وظائف علمية وثقافية اتضحت مما سبق.

ويلاحظ هنا إنّ وظائف إمام المسجد قد تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى آخر فلا يمكن حصرها أو استقصاؤها جميعاً، فمفرداتها واسعة وهي خاضعة لشخصية الحوزوي ومقوماته الفكرية والإيمانية والاجتماعية.

بعد كلّ هذا لا أحتاج أن أقول إنّ المساجد رمز عزّة الإسلام وقوة المسلمين ومعيار لالتزامهم بدينهم، فكلمّا كانت المساجد أكثر حيوية وفاعلية في ضمير الناس وحياتهم كلّما كان المجتمع قريباً إلى الله تعالى.

---

(١) كما في الحديث: (ما شفاعة خير من أن يشفع في رجل وامرأة فيجمعهم في التزويج).

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا ممن تشكوهم المساجد، بل يجعلنا من عمّارها بالبر والتقوى وينعم علينا ببركاتها ونفحاتها ولا يحرمنا عطائه بفضله وجوده ومنّه وكرمه، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.